السِّيرَةُ النَّبَوِيَّةُ

الْحَلْقَةُ ١٣

غَزْوَةُ بَنِي قُرَيْظَةَ

الْعَهْدُ وَالْخِيَانَةُ وَعَدْلُ حُكْمِ اللهِ، فِي ضَوْءِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَالْحَدِيثِ الصَّحِيحِ



Hj Che Alim Hj Che Haron
AK (Kelantan)
quranscience.my

© ٢٠٢٦ م / ١٤٤٨ هـ Hj Che Alim Hj Che Haron AK (Kelantan) • @QuranScienceMY • quranscience.my
هذا الكتاب الإلكتروني مجاني للمسلمين — يمنع بيعه.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

السِّيرَةُ النَّبَوِيَّةُ

الْحَلْقَةُ ١٣

غَزْوَةُ بَنِي قُرَيْظَةَ

الْعَهْدُ وَالْخِيَانَةُ وَعَدْلُ حُكْمِ اللهِ، فِي ضَوْءِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَالْحَدِيثِ الصَّحِيحِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ

سورة المائدة (٥): ٨

HJ CHE ALIM HJ CHE HARON

quranscience.my | @QuranScienceMY

© ٢٠٢٦ م / ١٤٤٨ هـ quranscience.my — كتاب إلكتروني مجاني. يُمنع بيعه.

شكر وإهداء

الحمد لله الذي أمرنا بالعدل ولو مع العدوّ، ونصر عبده الموفي بالعهد. والصلاة والسلام على سيّدنا ونبيّنا محمد ﷺ، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أُهدي هذا الكتاب خاصّةً إلى زوجتي الحبيبة،

زهرة محمد لطيف؛

وإلى أبنائي وبناتي الأحبّة،

محمد حافظ، نور هزواني، عبد الحكيم، نور هداية، نور عاقلة ونور عتيقة؛

وإلى أصهاري وكنّاتي،

فضيلة، مالك، حنين، فيريزال وفيروان.

تروي هذه الحلقة الثالثة عشرة من «السيرة النبوية» أحداثَ بني قريظة بعد غزوة الخندق: عهدًا نُقض، وحصارًا، وحكمَ سعد بن معاذ، ووفاةَ صحابيٍّ اهتزّ لموته العرش. أسأل الله أن يجعل هذا العلم عِلْمًا يُنْتَفَعُ بِهِ.

عن غلاف هذا الكتاب

لا يصوّر غلافُ هذا الكتاب أيَّ إنسانٍ أو حيوان، بل يعرض **زقاقًا قديمًا** بين **جدرانٍ من اللَّبِن** في **عشيّةٍ قُبيل العصر**، يتصاعد فيه **غبارٌ ذهبيّ** يتلألأ في ضوء الشمس المائلة. وفي آخر الزقاق تبدو **بساتين النخل** الخضراء، وفي الأفق البعيد تقوم **ظلالُ حصونٍ حجرية** باهتة.

يذكّر الغبار في ذلك الزقاق بقول أنس رضى الله عنه: «كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى الْغُبَارِ سَاطِعًا فِي زُقَاقِ بَنِي غَنْمٍ، مَوْكِبَ جِبْرِيلَ، حِينَ سَارَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ» (صحيح البخاري ٤١١٨). ويرمز ضوء العشيّ إلى أمره: «لَا يُصَلِّيَنَّ أَحَدٌ الْعَصْرَ إِلَّا فِي بَنِي قُرَيْظَةَ» (صحيح البخاري ٤١١٩). والنخيل هي العوالي حيث كانت ديار بني قريظة، والحصون البعيدة هي الصياصي التي أنزلهم الله منها في النهاية (الأحزاب ٣٣: ٢٦).

الشريط الأزرق الداكن في الأسفل، المؤطَّر ب**خطوطٍ ذهبيةٍ رفيعة**، هو موضع اسم المؤلف.

المحتويات

غزوة بني قريظة — مقدّمة
١. من هم بنو قريظة؟ — كتب السيرة
٢. صحيفة المدينة والعهد المشترك — المائدة ٥: ١
٣. العهد الممزّق — كتب السيرة
٤. رسل للتثبّت من الخبر — كتب السيرة؛ جامع الترمذي ٣٧٤٣
٥. جبريل لم يضع السلاح — صحيح البخاري ٤١٢٢
٦. غبار موكب جبريل — صحيح البخاري ٤١١٨
٧. صلاة العصر في بني قريظة — صحيح البخاري ٤١١٩
٨. العصر أم الظهر؟ أدب الخلاف — صحيح مسلم ١٧٧٠
٩. حصار الحصون — الأحزاب ٣٣: ٢٦
١٠. عروض كعب بن أسد الثلاثة — كتب السيرة
١١. أبو لبابة وسارية التوبة — الأنفال ٨: ٢٧؛ كتب السيرة
١٢. الذين اختاروا الإسلام — صحيح البخاري ٤٠٢٨
١٣. «قوموا إلى سيّدكم» — صحيح البخاري ٤١٢١
١٤. حكم سعد بن معاذ — جامع الترمذي ١٥٨٢
١٥. المقاتلة وحدهم — جامع الترمذي ١٥٨٤
١٦. كم كان عددهم؟ — جامع الترمذي ١٥٨٢؛ كتب السيرة
١٧. أنزلهم الله من صياصيهم — الأحزاب ٣٣: ٢٦–٢٧
١٨. ردّ نخيل الأنصار — صحيح البخاري ٤١٢٠
١٩. «وجبريل معك» — صحيح البخاري ٤١٢٣–٤١٢٤
٢٠. دعاء سعد ووفاته — صحيح البخاري ٤١٢٢
٢١. اهتزاز عرش الرحمن — صحيح البخاري ٣٨٠٣
٢٢. العدل ولو مع العدوّ — المائدة ٥: ٨
٢٣. مصادر أخبار بني قريظة — رسم بياني؛ جدول
٢٤. آيات القرآن في العهد والغدر — الأنفال ٨: ٥٥–٥٨؛ صحيح البخاري ٣٤، ٣١٨٦
٢٥. ثلاث قبائل، ثلاثة عهود، ثلاث نهايات — جدول؛ صحيح البخاري ٤٠٢٨
٢٦. أعلام أحداث بني قريظة — جدول؛ كتب السيرة
٢٧. من ذرّية قريظة خرج العلماء — عطيّة القرظي؛ محمد بن كعب القرظي
٢٨. الخطّ الزمني لأحداث بني قريظة — جدول
٢٩. أسئلة شائعة عن بني قريظة — ١٢ سؤالًا
٣٠. العبر والخاتمة
المراجع

الدعم والتبرّع

دليل الألوان: الإطار الأخضر = آية من القرآن الكريم؛ الإطار الذهبي = حديث؛ الإطار البنّي = من كتب السيرة؛ الجدول الأزرق = مقارنة. أسماء الرواة المسطّرة بالأزرق روابط إلى صفحاتهم في موقع sunnah.com.

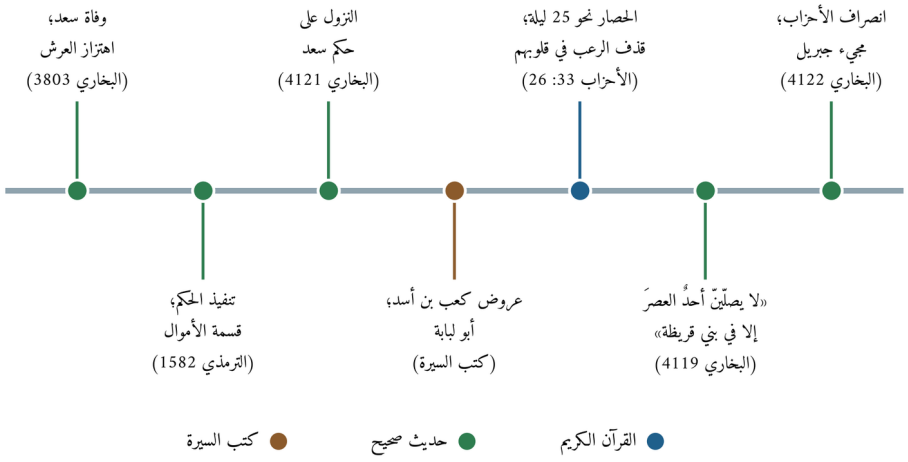
بنو قريظة

انتهت الحلقة الثانية عشرة من «السيرة النبوية» بانصراف الأحزاب خائبين، هزمتهم الريح وجنودٌ لم يُرَوا. لكن قبل أن يستريح المسلمون جاء جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ بأمرٍ جديد: بقي أمرٌ لم يُحسم في ظهر المدينة — أمر **بني قريظة**.

بنو قريظة قبيلةٌ يهودية كانت مرتبطة مع المسلمين **بعهد**. فلمّا حاصر المدينةَ عشرةُ آلاف مقاتل نقضوا ذلك العهد ومالوا إلى العدوّ. وما تلا ذلك — حصار حصونهم، وحكم **سعد بن معاذ** رضى الله عنه، ووفاة سعد التي اهتزّ لها العرش — مسجَّلٌ في **سورة الأحزاب** (٣٣: ٢٦-٢٧) وفي الأحاديث الصحيحة.

كثيرًا ما يُساء فهم هذه القصة. ويحاول هذا الكتاب أن يعرضها **بصدقٍ وإنصاف**: ما هو ثابت من القرآن والحديث الصحيح، وما هو مشهور في كتب السيرة، وما اختلف فيه العلماء.

خطٌّ زمنيّ لأحداث بني قريظة (ذو القعدة 5هـ)



مدّة الحصار بحسب ابن إسحاق؛ وفي روايات أخرى خمس عشرة ليلة أو نحو شهر.

الشكل ١: الخطّ الزمني لأحداث بني قريظة.

ملاحظة: الآيات القرآنية في هذا الكتاب بالنصّ العربي مع روابطها. وتُذكر درجة كلّ حديث في إطاره. وما ورد في كتب السيرة وُضع في الإطار البنّي «من كتب السيرة»، وأُرفقت الوقائع التاريخية بروابط مصادرها.

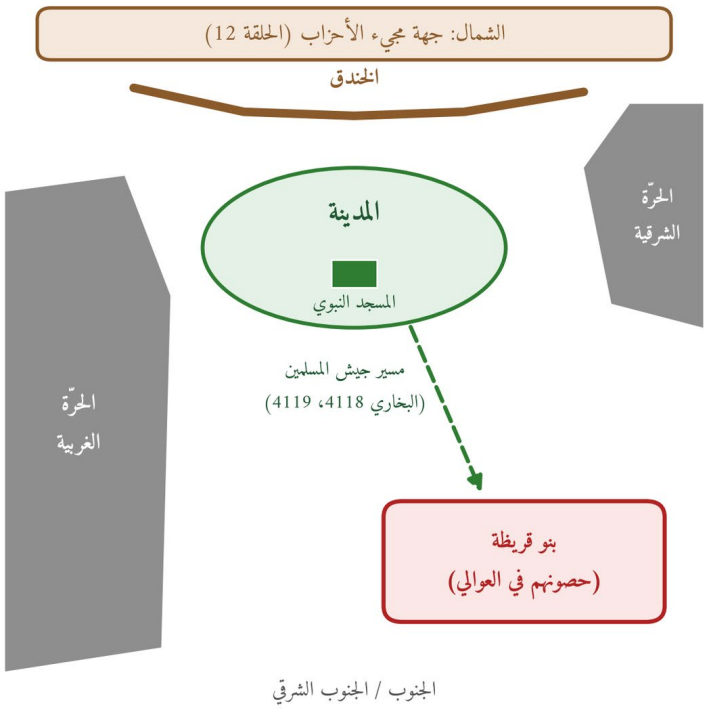
مَن هم بنو قريظة؟

كانت يثرب (المدينة) قبل الإسلام موطنًا لقبيلتين عربيتين — **الأوس والخزرج** — ولعدد من القبائل اليهودية، أكبرها ثلاث: **بنو قينقاع وبنو النضير وبنو قريظة.** وكان لهم كتابٌ ومدارسُ وأسواقٌ وحصونٌ خاصة بهم.

القبيلة اليهودية	الوصف (كتب السيرة)
بنو قينقاع	صاغةٌ وتجّار؛ حلفاء الخزرج؛ يسكنون داخل المدينة
بنو النضير	أصحاب نخيلٍ وأموال؛ يسكنون الجنوب (العوالي)
بنو قريظة	زرّاع نخيل؛ حلفاء الأوس؛ حصونهم في الجنوب الشرقي (العوالي)

سكن بنو قريظة في **العوالي**، وهي أرضٌ مرتفعة جنوب شرقي المدينة كثيرة النخيل. وبنوا **حصونًا من حجارة** (آطامًا) منيعة، وكانوا **حلفاءَ للأوس** منذ الجاهلية — وهي حقيقة بالغة الأهمية في هذه القصة.

موقع بني قريظة (رسم تخطيطي)



رسم تخطيطي فقط؛ المواقع تقريبية. كانت بنو قريظة في جنوب شرقي المدينة — «خلفَ» المسلمين وهم يواجهون الخندق في الشمال.

الشكل ٢: موقع بني قريظة جنوب شرقي المدينة (رسم تخطيطي).

من كتب السيرة: موقعٌ استراتيجيّ

في غزوة الخندق حُفر الخندق في **شمال** المدينة؛ فكان المسلمون يواجهون الشمال، والنساء والذراري والبيوت من خلفهم، **بجوار ديار بني قريظة**. فما دام بنو قريظة أوفياء بالعهد فظهر المدينة آمن.

ويبيّن أصحاب السيرة والمؤرّخون المعاصرون أنّ غدر بني قريظة يومئذٍ كان يمكن أن يفتح للعدوّ طريقًا إلى قلب المدينة — من الجهة التي لا يحميها الخندق.

المرجع:

ابن هشام، السيرة النبوية؛ ويكيبيديا، «بنو قريظة». https://en.wikipedia.org/wiki/Banu_Qurayza

والعبرة: لفهم أيّ حدثٍ تاريخيّ لا بدّ أن نفهم **موقعه وخلفيّته**.

صحيفة المدينة والعهد المشترك

لمّا قدم رسول الله ﷺ المدينة (الحلقة ٨) كتب وثيقةً تُعرف بـ**صحيفة المدينة** (الصحيفة)، نظّمت العلاقة بين المهاجرين والأنصار والقبائل اليهودية التي تساكنهم.

من كتب السيرة: بنود الصحيفة ذات الصلة

روى ابن إسحاق نصّ الصحيفة، ومن بنودها: «**لِلْيَهُودِ دِينُهُمْ، وَلِلْمُسْلِمِينَ دِينُهُمْ**»، وأنّ بين الطرفين **النصرَ** على من حارب أهل هذه الصحيفة، وأنه **لا تُجار** قريشٌ ولا من نصرها. وعليهم كذلك **الدفاع المشترك عن يثرب** من كلّ من دهمها.

وذكر بعض المؤرّخين، كأبي عُبيد في **الأموال**، أنّ لبني قريظة وبني النضير **عهدًا خاصًّا** مع رسول الله ﷺ. وأيًّا كانت صورته، فالمصادر متّفقة على أنّ بني قريظة كانوا **مرتبطين بعهد سلمٍ ونصرة**.

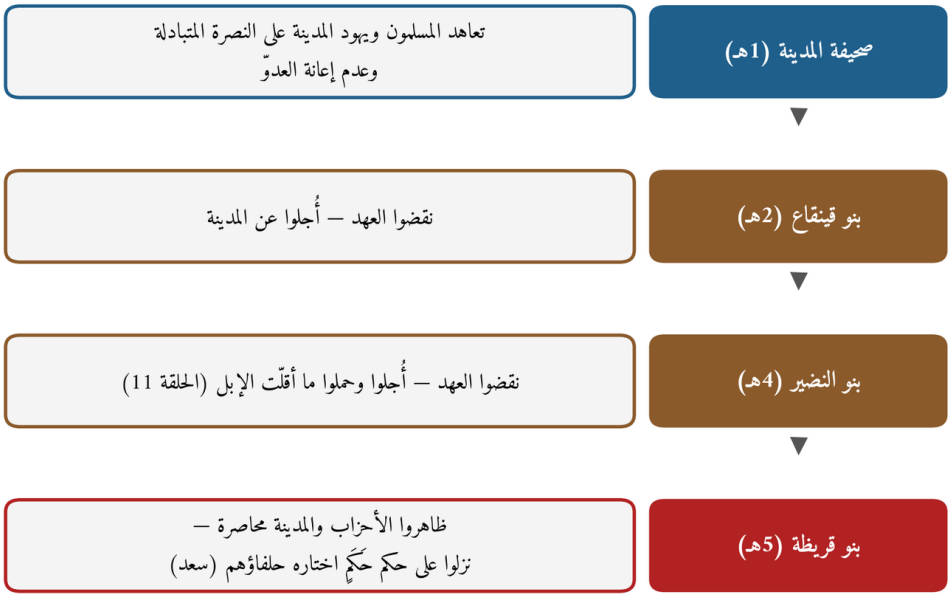
المرجع:

ابن هشام، السيرة النبوية؛ أبو عُبيد، الأموال؛ ويكيبيديا، «صحيفة المدينة».
https://en.wikipedia.org/wiki/Constitution_of_Medina

والعهد في الإسلام أمانةٌ عظيمة. قال الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ**﴾ تفسير ابن كثير ٥:١.

وصحيفة المدينة من أقدم الوثائق الدستورية المكتوبة في تاريخ البشر، وهي برهانٌ على أنّ رسول الله ﷺ **بدأ علاقته بالقبائل اليهودية بالسلم** وحرية الدين والتعاون — لا بالعداء.

العهود مع قبائل يهود المدينة



خلاصةً من كتب السيرة وصحيح البخاري 4028. عوقبت كلّ قبيلة بفعلها هي، لا بسبب دينها.

الشكل ٣: العهود مع قبائل يهود المدينة.

والعبرة: أنّ المسلمين **يوفون بالعهد** ما دام الطرف الآخر وفيًّا. وكلّ قبيلة يهودية عوقبت — قينقاع والنضير وقريظة — إنما عوقبت بسبب **فعلها هي** في نقض العهد، لا بسبب دينها.

العهد الممزَّق

ذكرت الحلقة ١٢ أنّ **حُيَيّ بن أخطب**، زعيم بني النضير الذي أُجلي إلى خيبر، كان من أكبر المحرّضين على تحالف الأحزاب. فلمّا وصل جيش الأحزاب إلى الخندق وعجز عن عبوره، بحث حييّ عن طريقٍ آخر: **إغراء بني قريظة** بأن يفتحوا ظهر المدينة.

من كتب السيرة: الباب الذي فُتح أخيرًا

روى ابن إسحاق أنّ حييًّا ذهب إلى **كعب بن أسد**، سيّد بني قريظة وصاحب عهدهم مع رسول الله ﷺ. **فأغلق كعبٌ دونه باب حصنه** أوّلَ الأمر وأبى أن يلقاه، وقال: «إِنِّي لَمْ أَرَ مِنْ مُحَمَّدٍ إِلَّا صِدْقًا وَوَفَاءً».

لكنّ حييًّا ألحّ عليه، ووصف قوّة الأحزاب بأنها «**بحرٌ طامّ**» سيستأصل محمدًا لا محالة، ووعده أن يدخل معهم حصنهم إن رجعت الأحزاب ولم يظفروا. فوافق كعبٌ في النهاية، **ومُزِّق العهد الذي بينهم وبين المسلمين**.

المرجع:

ابن هشام، السيرة النبوية (رواية ابن إسحاق) — باب غزوة الخندق.

تأمّل اعتراف كعبٍ نفسه: إنه **لم يرَ غدرًا قطّ** من رسول الله ﷺ. فنقض العهد لم يكن لظلمٍ من المسلمين، بل بسبب **إغراء القوّة** والظنّ بأنّ المسلمين هالكون لا محالة.

من كتب السيرة: النساء والذراري في الحصون

تذكر كتب السيرة أنّ نساء المسلمين وذراريهم جُمعوا في آطام المدينة، ومنها حصن **فارع** لحسّان بن ثابت. وروى ابن إسحاق أنّ رجلًا من اليهود جعل يطيف بالحصن يتجسّس، فضربته **صفيّة بنت عبد المطّلب** رضى الله عنها، عمّة رسول الله ﷺ، بعمودٍ حتى قتلته.

القصة مشهورة في كتب السيرة، لكنّ **في إسنادها كلامًا** عند أهل الحديث (وبعضها مرسل). وتُذكر هنا تصويرًا للخطر الذي أحسّ به أهل المدينة، لا روايةً مقطوعًا بها.

المرجع:

ابن هشام، السيرة النبوية؛ الهيثمي، مجمع الزوائد.

والعبرة: أنّ العهد الذي يُعقد في الرخاء **يُمتحن** في الشدّة. ومن لا يفي إلا حين يكون الطرف الآخر قويًّا فليس وفيًّا بعهده في الحقيقة.

رسلٌ للتثبّت من الخبر

بلغ رسولَ الله ﷺ خبرُ نقض بني قريظة للعهد والحصار في أشدّه. فلم يتصرّف بناءً على الإشاعة، بل **تثبّت أوّلًا**.

وفي الحديث الصحيح أنه قال يوم الأحزاب: «مَنْ يَأْتِينِي بِخَبَرِ الْقَوْمِ؟» فقال الزبير رضى الله عنه: أنا، فقال: «**إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوَارِيًّا، وَإِنَّ حَوَارِيَّ الزُّبَيْرُ**» (صحيح البخاري ٢٨٤٦). وقال الزبير نفسه إنّ رسول الله ﷺ جمع له أبويه يوم قريظة فقال: «**فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي**» (جامع الترمذي ٣٧٤٣، حسن صحيح).

من كتب السيرة: السعدان وكلمة السرّ

روى ابن إسحاق أنّ رسول الله ﷺ بعث **سعد بن معاذ** (سيّد الأوس، حلفاء بني قريظة) **وسعد بن عبادة** (سيّد الخزرج)، ومعهما عبد الله بن رواحة وخوّات بن جبير رضى الله عنهما، وأوصاهم: إن كان الخبر حقًّا فالحنوا لي **لحنًا** أعرفه ولا تفتّوا في أعضاد الناس، وإن كانوا على الوفاء فاجهروا به للناس.

فوجدوهم على أخبث ما بلغهم، ونالوا من رسول الله ﷺ. فرجعوا وقالوا: «**عَضَلٌ وَالْقَارَةُ!**» — يعنون غدر القبيلتين بأصحاب الرجيع (الحلقة ١١). فقال رسول الله ﷺ: «اللَّهُ أَكْبَرُ، أَبْشِرُوا يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ».

المرجع:

ابن هشام، السيرة النبوية (رواية ابن إسحاق).

لماذا قال «أبشروا» وهو يتلقّى هذا الخبر السيّئ؟ بيّن العلماء أنّ ذلك كان **تثبيتًا لقلوب** أصحابه، ولأنه ﷺ كان موقنًا بأنّ اشتداد البلاء علامةٌ على **قرب نصر الله**.

والعبرة: **تثبّتْ من الخبر قبل أن تعمل**، ولا سيّما الأخبار التي تمسّ أمن المجتمع. والقائد يحفظ معنويّات أتباعه دون أن يُخفي الحقيقة عمّن يحتاج إلى معرفتها.

جبريل لم يضع السلاح

بعد انصراف الأحزاب رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة، ووضع السلاح واغتسل، وظنّ الصحابة أنّ القتال قد انتهى. لكنّ جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ جاءه بأمر الله. تقول عائشة رضى الله عنها:

حديث — صحيح البخاري، رقم ٤١٢٢

حَدَّثَنَا زَكَرِيَّاءُ بْنُ يَحْيَى، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ نُمَيْرٍ، حَدَّثَنَا هِشَامٌ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ ـ رضى الله عنها ـ قَالَتْ أُصِيبَ سَعْدٌ يَوْمَ الْخَنْدَقِ، رَمَاهُ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ يُقَالُ لَهُ حِبَّانُ ابْنُ الْعَرِقَةِ، رَمَاهُ فِي الأَكْحَلِ، فَضَرَبَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم خَيْمَةً فِي الْمَسْجِدِ لِيَعُودَهُ مِنْ قَرِيبٍ، فَلَمَّا رَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مِنَ الْخَنْدَقِ وَضَعَ السِّلاَحَ وَاغْتَسَلَ، فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ ـ عَلَيْهِ السَّلاَمُ ـ وَهْوَ يَنْفُضُ رَأْسَهُ مِنَ الْغُبَارِ فَقَالَ قَدْ وَضَعْتَ السِّلاَحَ وَاللَّهِ مَا وَضَعْتُهُ، اخْرُجْ إِلَيْهِمْ. قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم فَأَيْنَ. فَأَشَارَ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ، فَأَتَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَنَزَلُوا عَلَى حُكْمِهِ، فَرَدَّ الْحُكْمَ إِلَى سَعْدٍ، قَالَ فَإِنِّي أَحْكُمُ فِيهِمْ أَنْ تُقْتَلَ الْمُقَاتِلَةُ، وَأَنْ تُسْبَى النِّسَاءُ وَالذُّرِّيَّةُ، وَأَنْ تُقْسَمَ أَمْوَالُهُمْ. قَالَ هِشَامٌ فَأَخْبَرَنِي أَبِي عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ سَعْدًا قَالَ اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَىَّ أَنْ أُجَاهِدَهُمْ فِيكَ مِنْ قَوْمٍ كَذَّبُوا رَسُولَكَ صلى الله عليه وسلم وَأَخْرَجُوهُ، اللَّهُمَّ فَإِنِّي أَظُنُّ أَنَّكَ قَدْ وَضَعْتَ الْحَرْبَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ، فَإِنْ كَانَ بَقِيَ مِنْ حَرْبِ قُرَيْشٍ شَىْءٌ، فَأَبْقِنِي لَهُ حَتَّى أُجَاهِدَهُمْ فِيكَ، وَإِنْ كُنْتَ وَضَعْتَ الْحَرْبَ فَافْجُرْهَا، وَاجْعَلْ مَوْتَتِي فِيهَا. فَانْفَجَرَتْ مِنْ لَبَّتِهِ، فَلَمْ يَرْعَهُمْ وَفِي الْمَسْجِدِ خَيْمَةٌ مِنْ بَنِي غِفَارٍ إِلاَّ الدَّمُ يَسِيلُ إِلَيْهِمْ فَقَالُوا يَا أَهْلَ الْخَيْمَةِ مَا هَذَا الَّذِي يَأْتِينَا مِنْ قِبَلِكُمْ فَإِذَا سَعْدٌ يَغْذُو جُرْحُهُ دَمًا، فَمَاتَ مِنْهَا رضى الله عنه.

السند رواه الإمام البخاري: عن زكريّا بن يحيى، عن عبد الله بن نُمير، عن هشام بن عروة، عن أبيه عروة بن الزبير، عن عائشة رضى الله عنها.

التخريج: رواه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب مرجع النبي ﷺ من الأحزاب ومخرجه إلى بني قريظة، حديث رقم ٤١٢٢؛ وانظر أيضًا رقم ٤٦٣ و٢٨١٣؛ وصحيح مسلم رقم ١٧٦٩.

الدرجة: صحيح – أخرجه البخاري في صحيحه، أصحّ الكتب بعد القرآن الكريم بإجماع أهل الحديث.

المصدر: https://sunnah.com/bukhari:4122

«واللهِ ما وضعتُه»

تأمّل كلمة جبريل: «**قَدْ وَضَعْتَ السِّلَاحَ؟ وَاللَّهِ مَا وَضَعْتُهُ**». فالملائكة الذين نزلوا مددًا في الخندق (الأحزاب ٣٣: ٩) ما زالوا على أهبتهم، وأمرُ من غدر بالعهد والبلدُ محاصَر **لم يُحسم بعد**.

جاء هذا الأمر **من عند الله**، لا عن انتقامٍ شخصيّ من رسول الله ﷺ؛ فلم يخرج إلى بني قريظة من تلقاء نفسه غاضبًا، بل خرج حين أشار جبريل إليهم.

لحظاتٌ في الحديث	معناه
خيمة سعد في المسجد	كان يعود صاحبه الجريح من قريب
وضع السلاح واغتسل لتوّه	كان بشرًا يتعب بعد الحصار
جبريل عليه الغبار	الملائكة يجاهدون مع المسلمين
«فأين؟»	كان ينتظر أمر الله

والعبرة: أنّ النصر ليس وقتًا لـ**الغفلة**. فما دام الخطر قائمًا لم يُحسم بالعدل، فالعمل لم ينتهِ — وإن تعب الجسد.

غبار موكب جبريل

شهد أنس بن مالك رضى الله عنه، وكان يومئذٍ غلامًا، مشهدًا لم ينسه طول عمره:

حديث — صحيح البخاري، رقم ٤١١٨

حَدَّثَنَا مُوسَى، حَدَّثَنَا جَرِيرُ بْنُ حَازِمٍ، عَنْ حُمَيْدِ بْنِ هِلاَلٍ، عَنْ أَنَسٍ - رضى الله عنه - قَالَ كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى الْغُبَارِ سَاطِعًا فِي زُقَاقِ بَنِي غَنْمٍ مَوْكِبِ جِبْرِيلَ حِينَ سَارَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ.

السند رواه الإمام البخاري: عن موسى بن إسماعيل، عن جرير بن حازم، عن حُميد بن هلال، عن أنس بن مالك رضى الله عنه.

التخريج: رواه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب مرجع النبي ﷺ من الأحزاب ومخرجه إلى بني قريظة، حديث رقم ٤١١٨؛ وانظر أيضًا رقم ٣٢١٤.

الدرجة: صحيح — أخرجه البخاري في صحيحه، أصحّ الكتب بعد القرآن الكريم بإجماع أهل الحديث.

المصدر: https://sunnah.com/bukhari:4118

لم يرَ أنسٌ جبريلَ، لكنه رأى **الغبار ساطعًا** في زقاق بني غنم — أحد أحياء الأنصار بالمدينة — وعرف أنه غبار موكب جبريل. وبعد عشرات السنين كان لا يزال يحدّث به كأنه **ينظر إليه**.

من كتب السيرة: خروج رسول الله ﷺ

تذكر كتب السيرة أنّ رسول الله ﷺ دفع الراية إلى **عليّ بن أبي طالب** رضى الله عنه وقدّمه أمام الجيش، واستعمل على المدينة **ابن أمّ مكتوم** رضى الله عنه. وقُدّر الجيش الخارج **بثلاثة آلاف** رجل، معهم **ثلاثون** فرسًا.

المرجع:

ابن هشام، السيرة النبوية؛ ابن سعد، الطبقات الكبرى.

وحضور جبريل والملائكة يدلّ على أنّ أحداث بني قريظة **امتدادٌ** لغزوة الخندق، فالله الذي أرسل الريح على الأحزاب هو الذي أمر بمواجهة من ظاهرهم.

والعبرة: أنّ ذاكرة الصحابة لهذه الأحداث كانت **واضحةً مفصّلة**. فهذه الأحاديث ليست قصصًا اختُلقت فيما بعد، بل شهادة من رأى بعينه.

صلاة العصر في بني قريظة

قبل الخروج أصدر رسول الله ﷺ أمرًا يبدو بسيطًا، لكنه صار من أشهر الأحاديث في **فقه الخلاف**:

> **حديث — صحيح البخاري، رقم ٤١١٩**
>
> حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَسْمَاءَ، حَدَّثَنَا جُوَيْرِيَةُ بْنُ أَسْمَاءَ، عَنْ نَافِعٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ ـ رضى الله عنهما ـ قَالَ قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يَوْمَ الأَحْزَابِ لاَ يُصَلِّيَنَّ أَحَدٌ الْعَصْرَ إِلاَّ فِي بَنِي قُرَيْظَةَ. فَأَدْرَكَ بَعْضُهُمُ الْعَصْرَ فِي الطَّرِيقِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لاَ نُصَلِّي حَتَّى نَأْتِيَهَا. وَقَالَ بَعْضُهُمْ بَلْ نُصَلِّي، لَمْ يُرِدْ مِنَّا ذَلِكَ، فَذُكِرَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَلَمْ يُعَنِّفْ وَاحِدًا مِنْهُمْ.
>
> **السند** رواه الإمام البخاري: عن عبد الله بن محمد بن أسماء، عن جُويرية بن أسماء، عن نافع، عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما.
>
> **التخريج:** رواه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب مرجع النبي ﷺ من الأحزاب ومخرجه إلى بني قريظة، حديث رقم ٤١١٩؛ وانظر أيضًا رقم ٩٤٦.
>
> **الدرجة:** صحيح — أخرجه البخاري في صحيحه، أصحّ الكتب بعد القرآن الكريم بإجماع أهل الحديث.
>
> المصدر: https://sunnah.com/bukhari:4119

انطلق الصحابة مسرعين، فأدركهم العصر في الطريق حتى كاد وقته يخرج. فنشأ السؤال: هل أراد **ألّا يصلّوا مطلقًا** حتى يبلغوا ولو خرج الوقت؟ أم أراد **الإسراع** حتى يصلّوا هناك؟

الجماعة	طريقة الفهم
الفريق الأوّل	تمسّك بظاهر اللفظ: لا صلاة إلا في بني قريظة ولو بعد الوقت
الفريق الثاني	فهم مقصود الأمر: الإسراع، فصلّوا في الوقت وهم في الطريق
رسول الله ﷺ	لم يعنّف واحدًا من الفريقين

كلا الفريقين **قصد الطاعة**؛ الأوّل قدّم **لفظ** الأمر، والثاني قدّم **مقصده.** ورسول الله ﷺ، وهو أعلم الناس بمراد كلامه، **لم يعنّف** أحدًا منهم.

والعبرة: أنّ الخلاف في مسائل الاجتهاد التي لها دليل ومجال للتأويل **لا يجوز أن يكون سببًا للعداوة.** وكلا الطرفين قد يكون على خير.

العصر أم الظهر؟ أدب الخلاف

ومن اللطائف أنّ الإمام مسلمًا روى الحديث نفسه بإسنادٍ يكاد يكون واحدًا، غير أنّ الصلاة المذكورة فيه **الظهر** لا العصر.

حديث — صحيح مسلم، رقم ١٧٧٠

وَحَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَسْمَاءَ الضُّبَعِيُّ، حَدَّثَنَا جُوَيْرِيَةُ بْنُ أَسْمَاءَ، عَنْ نَافِعٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ نَادَى فِينَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَوْمَ انْصَرَفَ عَنِ الأَحْزَابِ أَنْ لاَ يُصَلِّيَنَّ أَحَدٌ الظُّهْرَ إِلاَّ فِي بَنِي قُرَيْظَةَ. فَتَخَوَّفَ نَاسٌ فَوْتَ الْوَقْتِ فَصَلُّوا دُونَ بَنِي قُرَيْظَةَ. وَقَالَ آخَرُونَ لاَ نُصَلِّي إِلاَّ حَيْثُ أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَإِنْ فَاتَنَا الْوَقْتُ قَالَ فَمَا عَنَّفَ وَاحِدًا مِنَ الْفَرِيقَيْنِ.

السند رواه الإمام مسلم: عن عبد الله بن محمد بن أسماء الضُّبَعي، عن جُويرية بن أسماء، عن نافع، عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما.

التخريج: رواه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب المبادرة بالغزو وتقديم أهمّ الأمرين المتعارضين، حديث رقم ١٧٧٠.

الدرجة: صحيح — أخرجه مسلم في صحيحه.

المصدر: https://sunnah.com/muslim:1770

فهل هذا تعارض؟ ناقش علماء الحديث كـ**ابن حجر العسقلاني** في فتح الباري ذلك بعناية، وذكروا أوجهًا معقولة للجمع:

البيان	الشرح (فتح الباري)
طائفتان مختلفتان	قيل لمن لم يصلِّ الظهر «الظهر»، ولمن صلّاها «العصر»
وقتان للخروج	خرج بعضهم مبكرًا وبعضهم متأخرًا

البيان	الشرح (فتح الباري)
اختلاف الرواة	وهِم أحد الرواة في اسم الصلاة
الأرجح	رجّح كثير من العلماء رواية «العصر» (البخاري)

ومثل هذا الاختلاف اليسير **يقوّي** صحّة القصة؛ فعلماء الحديث لم يُخفوه، بل رووا الروايتين بأمانة ثم شرحوهما. وجوهر الحدث — الأمر بالمبادرة إلى بني قريظة وعدم تعنيف أيّ الفريقين — **ثابتٌ لا يتغيّر**.

أدب الخلاف

ذكر الإمام النووي هذا الحديث دليلًا على أنّ **المجتهد لا يُعنَّف** إذا بذل وسعه في طلب الحقّ. وصار أصلًا في أدب الخلاف بين المذاهب الفقهية: **نختلف ولا نفترق**.

حصار الحصون

وصل جيش المسلمين إلى ديار بني قريظة وحاصر حصونهم. وتحصّن بنو قريظة وراء أسوارٍ حجرية منيعة، ومعهم من الطعام والماء ما يكفي مدّةً طويلة.

من كتب السيرة: مدّة الحصار

ذكر ابن إسحاق أنّ الحصار دام **خمسًا وعشرين ليلة**. وفي روايات أخرى خمس عشرة ليلة، أو نحو شهر. وكان في أثنائه تراشقٌ بالنبل، ولم يقع قتالٌ كبير.

وروى ابن إسحاق أيضًا أنّ **حُيَيّ بن أخطب** وفى لكعبٍ بوعده؛ فدخل حصن بني قريظة بعد انصراف الأحزاب، وحوصر معهم.

المرجع:

ابن هشام، السيرة النبوية؛ ويكيبيديا، «غزوة بني قريظة». https://en.wikipedia.org/wiki/Invasion_of_Banu_Qurayza

وصف القرآن حالهم في حصونهم: ﴿**وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ**﴾ تفسير ابن كثير ٣٣: ٢٦.

حصونهم منيعة، وزادهم كافٍ — لكنّ **قلوبهم ملئت رعبًا**. وبيّن ابن كثير أنّ الله قذف الخوف في قلوبهم فلم يقدروا على الصمود، مع قدرتهم عليه في الظاهر.

العامل	حال بني قريظة
الحصون	منيعة مبنيّة من الحجارة
الزاد	يكفي مدّة طويلة (كتب السيرة)
الحلفاء	رجعت الأحزاب؛ لا مدد قادم
القلوب	﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾ (٣٣: ٢٦)

والعبرة: أنّ القوّة الحقيقية ليست في **الأسوار والزاد**، بل في القلوب. فإذا رحل الحليف المرجوّ، وامتلأ القلب خوفًا، لم يُغنِ أمنع الحصون شيئًا.

عروض كعب بن أسد الثلاثة

لمّا طال الحصار وضعف الرجاء، جمع سيّد بني قريظة كعب بن أسد قومه للتشاور. وهذه الحادثة ليست في الصحيحين، لكن رواها ابن إسحاق واشتهرت في كتب السيرة.

من كتب السيرة: مشاورةٌ داخل الحصن

بحسب ابن إسحاق قال كعب لقومه: «إِنِّي عَارِضٌ عَلَيْكُمْ **خِلَالًا ثَلَاثًا**، فَخُذُوا أَيَّهَا شِئْتُمْ».

الأولى: «نُتَابِعُ هَذَا الرَّجُلَ وَنُصَدِّقُهُ، فَوَاللَّهِ لَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ أَنَّهُ **لَنَبِيٌّ مُرْسَلٌ**، وَأَنَّهُ الَّذِي تَجِدُونَهُ فِي كِتَابِكُمْ». فقالوا: «لَا نُفَارِقُ حُكْمَ التَّوْرَاةِ أَبَدًا».

الثانية: أن يخرجوا فيقاتلوا حتى الموت. **الثالثة:** أن يهجموا على المسلمين ليلة السبت حين يأمنون أنّ اليهود لا يقاتلون فيها. فرُفضت هاتان أيضًا، فقال كعب: «مَا بَاتَ رَجُلٌ مِنْكُمْ مُنْذُ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ لَيْلَةً وَاحِدَةً مِنَ الدَّهْرِ **حَازِمًا**.»

المرجع:

ابن هشام، السيرة النبوية (رواية ابن إسحاق) — باب غزوة بني قريظة.

وتصوّر هذه الرواية أمرًا تكرّر ذكره في القرآن: أنّ بعض أهل الكتاب **يعرفون الحقّ** في رسول الله ﷺ ﴿كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾ (البقرة ٢: ١٤٦)، ثم يأبون اتّباعه.

والعبرة: أنّ **معرفة الحقّ غيرُ قبوله**. فالكِبر والعصبية والخوف على المكانة قد تحول بين المرء والهداية، وإن قامت الحجّة أمامه. نسأل الله قلبًا خاضعًا للحقّ.

أبو لبابة وسارية التوبة

من أشدّ القصص تأثيرًا في أحداث بني قريظة قصة صحابيٍّ أنصاريّ من الأوس، هو **أبو لبابة بن عبد المنذر** رضى الله عنه. رواها ابن إسحاق وذكرها أهل التفسير.

من كتب السيرة: إشارةٌ ندم عليها

بحسب ابن إسحاق، سأل بنو قريظة رسولَ الله ﷺ أن يبعث إليهم أبا لبابة — وكان حليفهم قديمًا — ليستشيروه. فلمّا دخل قام إليه الرجال، وأجهش النساء والصبيان بالبكاء في وجهه، فقالوا: «يَا أَبَا لُبَابَةَ، أَتَرَى أَنْ نَنْزِلَ عَلَى حُكْمِ مُحَمَّدٍ؟» قال: «نَعَمْ» — **وأشار بيده إلى حلقه**، أي إنه الذبح.

قال أبو لبابة: «فَوَاللَّهِ مَا زَالَتْ قَدَمَايَ مِنْ مَكَانِهِمَا حَتَّى عَرَفْتُ أَنِّي قَدْ **خُنْتُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ**». فلم يرجع إلى رسول الله ﷺ، بل مضى إلى المسجد **وربط نفسه إلى سارية**، وأقسم ألّا يبرح مكانه حتى يتوب الله عليه.

فلمّا بلغ ذلك رسولَ الله ﷺ قال: «أَمَا إِنَّهُ لَوْ جَاءَنِي لَاسْتَغْفَرْتُ لَهُ، فَأَمَّا إِذْ فَعَلَ مَا فَعَلَ فَمَا أَنَا بِالَّذِي أُطْلِقُهُ مِنْ مَكَانِهِ حَتَّى يَتُوبَ اللَّهُ عَلَيْهِ». وبعد أيامٍ نزلت توبته، **ورسولُ الله ﷺ نفسُه هو الذي حلّ وثاقه**.

المرجع:

ابن هشام، السيرة النبوية؛ تفسير ابن كثير (الأنفال ٨: ٢٧). https://tafsir.app/ibn-katheer/8/27

ذكر بعض المفسّرين أنّ هذه الآية نزلت في أبي لبابة: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾ تفسير ابن كثير ٨: ٢٧.

ونقل ابن كثير هذا القول إلى جانب قولٍ آخر بأنّ الآية عامّة. ورواية سبب النزول **لا ترقى إلى درجة الصحيح**، فنُذكر قولًا من أقوال المفسّرين. واليوم تُعرف السارية المنسوبة إلى هذه القصة في المسجد النبوي بـ**أُسطوانة التوبة** أو أُسطوانة أبي لبابة.

والعبرة: أنّ زلّة المؤمن الصادق يعقبها **ندمٌ عاجلٌ صادق**. لم يلتمس أبو لبابة الأعذار، بل اعترف بذنبه ورفعه إلى الله مباشرة.

الذين اختاروا الإسلام

لم يكن بنو قريظة جميعًا في صفّ الغدر؛ فالحديث الصحيح يسجّل أنّ منهم من **اختار طريقًا آخر**. وقد لخّص عبد الله بن عمر رضى الله عنهما مصير قبائل يهود المدينة:

«حَارَبَتِ النَّضِيرُ وَقُرَيْظَةُ (النبيَّ ﷺ)، فَأَجْلَى بَنِي النَّضِيرِ، وَأَقَرَّ قُرَيْظَةَ وَمَنَّ عَلَيْهِمْ، حَتَّى حَارَبَتْ قُرَيْظَةُ... إِلَّا بَعْضَهُمْ لَحِقُوا بِالنَّبِيِّ ﷺ فَآمَنَهُمْ وَأَسْلَمُوا» صحيح البخاري ٤٠٢٨؛ صحيح مسلم ١٧٦٦).

تأمّل عبارة **«وَأَقَرَّ قُرَيْظَةَ وَمَنَّ عَلَيْهِمْ»**. فبعد إجلاء بني النضير (الحلقة ١١) لم يُتعرَّض لبني قريظة، وبقوا في أرضهم آمنين — حتى نقضوا هم العهد يوم الخندق.

> **من كتب السيرة: أسماءٌ مذكورة**
>
> ذكر ابن إسحاق أنّ ثلاثة فتيان — **ثعلبة بن سَعْيَة وأُسَيد بن سَعْيَة وأسد بن عُبيد** — أسلموا في الليلة التي نزل بنو قريظة في صبيحتها على الحكم، فأحرزوا دماءهم وأهليهم وأموالهم.
>
> وذكر ابن إسحاق أيضًا **عمرو بن سُعْدى**، رجلًا من قريظة أبى أن يدخل معهم في الغدر وقال: «لَا أَغْدِرُ بِمُحَمَّدٍ أَبَدًا». فخرج من الحصن ليلًا، فلم يُدرَ أين ذهب.
>
> **المرجع:**
>
> ابن هشام، السيرة النبوية (رواية ابن إسحاق).

والعبرة: أنّ **باب الإسلام والأمان مفتوحٌ دائمًا** حتى اللحظة الأخيرة. والحكم الذي صدر بعدُ لم يكن لكونهم يهودًا، والدليل أنّ من أسلم أو لم يشارك في الغدر نجا.

«قوموا إلى سيّدكم»

نزل بنو قريظة أخيرًا من حصونهم **واستسلموا للحكم** عند رسول الله ﷺ. وجاءت الأوس — حلفاء قريظة القدامى — يسألونه أن يُحسن إليهم كما أحسن إلى بني قينقاع حلفاء الخزرج.

من كتب السيرة: حَكَمٌ من حلفائهم

روى ابن إسحاق أنّ رسول الله ﷺ قال للأوس: «أَلَا تَرْضَوْنَ يَا مَعْشَرَ الْأَوْسِ أَنْ يَحْكُمَ فِيهِمْ رَجُلٌ مِنْكُمْ؟» قالوا: بلى. قال: «فَذَاكَ إِلَى سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ.»

وكان سعدٌ سيّد الأوس أنفسهم — حلفاء بني قريظة منذ الجاهلية — فرجا بنو قريظة والأوس أن يرفق بهم. وفي الحديث الصحيح أنّ **بني قريظة أنفسهم** نزلوا على حكم سعد (صحيح البخاري ٤١٢١).

المرجع:

ابن هشام، السيرة النبوية؛ صحيح البخاري ٤١٢١. https://sunnah.com/bukhari:4121

وكان سعدٌ يومئذٍ طريح خيمته في المسجد من سهمٍ أصابه في الخندق، فحُمل على حمار. ويحدّث أبو سعيد الخدري رضى الله عنه بما جرى:

حديث — صحيح البخاري، رقم ٤١٢١

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، حَدَّثَنَا غُنْدَرٌ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ سَعْدٍ، قَالَ سَمِعْتُ أَبَا أُمَامَةَ، قَالَ سَمِعْتُ أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ ـ رضى الله عنه ـ يَقُولُ نَزَلَ أَهْلُ قُرَيْظَةَ عَلَى حُكْمِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ، فَأَرْسَلَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم إِلَى سَعْدٍ، فَأَتَى عَلَى حِمَارٍ، فَلَمَّا دَنَا مِنَ الْمَسْجِدِ قَالَ لِلأَنْصَارِ قُومُوا إِلَى سَيِّدِكُمْ ـ أَوْ ـ خَيْرِكُمْ. فَقَالَ هَؤُلاَءِ نَزَلُوا عَلَى حُكْمِكَ. فَقَالَ تَقْتُلُ مُقَاتِلَتَهُمْ وَتَسْبِي ذَرَارِيَّهُمْ. قَالَ قَضَيْتَ بِحُكْمِ اللَّهِ. وَرُبَّمَا قَالَ بِحُكْمِ الْمَلِكِ.

السند رواه الإمام البخاري: عن محمد بن بشّار، عن غُندر، عن شعبة، عن سعد بن إبراهيم، عن أبي أُمامة بن سهل، عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه.

التخريج: رواه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب مرجع النبي ﷺ من الأحزاب ومخرجه إلى بني قريظة، حديث رقم ٤١٢١؛ وانظر أيضًا رقم ٣٠٤٣ و٦٢٦٢؛ وصحيح مسلم رقم ١٧٦٨.

الدرجة: صحيح – أخرجه البخاري في صحيحه، أصحّ الكتب بعد القرآن الكريم بإجماع أهل الحديث.

المصدر: https://sunnah.com/bukhari:4121

في قوله «**قُومُوا إِلَى سَيِّدِكُمْ**» إكرامٌ لسعد. وفي رواية **مسند أحمد** عن عائشة زيادة: «**فَأَنْزِلُوهُ**»، لأنّ سعدًا كان جريحًا. واستدلّ به العلماء على أنّ القيام **لإعانة المكرَّم واستقباله** حسن.

والعبرة: أنّ رسول الله ﷺ **لم يحكم بنفسه** وهو أحقّ الناس بالحكم، بل ردّ الحكم إلى حَكَمٍ يرضاه أطراف القضية – وهو مبدأ **التحكيم** العادل.

التحكيم في الإسلام

ردّ الحكم إلى حَكَمٍ يتّفق عليه الطرفان يُسمّى **التحكيم**، وقد ندب إليه القرآن، كما في الشقاق بين الزوجين: ﴿فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا﴾ (النساء ٤: ٣٥). وأمر الله إذا حكمنا بين الناس أن **نحكم بالعدل** (النساء ٤: ٥٨).

وفي أحداث بني قريظة طُبّق هذا المبدأ في أشدّ الأحوال توتّرًا — بعد غدرٍ وحصار. فرسول الله ﷺ **لم يسلك طريقًا مختصرًا**، بل ردّ الحكم إلى حَكَمٍ رضيه حلفاؤهم أنفسهم. والعبرة: في النزاع ابحث عن **طرفٍ ثالثٍ عدل**، واقبل حكمه.

حكم سعد بن معاذ

في الطريق أحاط الأوس بسعد يستعطفونه. وتذكر كتب السيرة أنهم قالوا: «يَا أَبَا عَمْرٍو، أَحْسِنْ فِي مَوَالِيكَ». فأجاب سعدٌ بكلمته المشهورة: «**لَقَدْ آنَ لِسَعْدٍ أَنْ لَا تَأْخُذَهُ فِي اللَّهِ لَوْمَةُ لَائِمٍ**»

يروي جابر بن عبد الله رضى الله عنهما ما جرى لسعدٍ قبل الحكم وبعده، مع تفصيلٍ بالغ الأهمية:

حديث — جامع الترمذي، رقم ١٥٨٢

حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ، حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ، عَنْ جَابِرٍ، أَنَّهُ قَالَ رُمِيَ يَوْمَ الأَحْزَابِ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ فَقَطَعُوا أَكْحَلَهُ أَوْ أَبْجَلَهُ فَحَسَمَهُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بِالنَّارِ فَانْتَفَخَتْ يَدُهُ فَتَرَكَهُ فَنَزَفَهُ الدَّمُ فَحَسَمَهُ أُخْرَى فَانْتَفَخَتْ يَدُهُ فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ قَالَ اللَّهُمَّ لاَ تُخْرِجْ نَفْسِي حَتَّى تُقِرَّ عَيْنِي مِنْ بَنِي قُرَيْظَةَ. فَاسْتَمْسَكَ عِرْقُهُ فَمَا قَطَرَ قَطْرَةً حَتَّى نَزَلُوا عَلَى حُكْمِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ فَحَكَمَ أَنْ يُقْتَلَ رِجَالُهُمْ وَيُسْتَحْيَى نِسَاؤُهُمْ يَسْتَعِينُ بِهِنَّ الْمُسْلِمُونَ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَصَبْتَ حُكْمَ اللَّهِ فِيهِمْ. وَكَانُوا أَرْبَعَمِائَةٍ فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ قَتْلِهِمُ انْفَتَقَ عِرْقُهُ فَمَاتَ. قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

السند رواه الإمام الترمذي: عن قتيبة بن سعيد، عن الليث بن سعد، عن أبي الزبير، عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما.

التخريج: رواه الإمام الترمذي في جامعه، كتاب السير، باب ما جاء في النزول على الحكم، حديث رقم ١٥٨٢.

الدرجة: صحيح — قال الإمام الترمذي: حسن صحيح، وصحّحه الشيخ الألباني، وكذا طبعة دار السلام.

المصدر: https://sunnah.com/tirmidhi:1582

لماذا هذا الحكم؟

كان حكم سعدٍ عقوبةً على **الغدر في الحرب**. فبنو قريظة لم يكتفوا بالقعود عن النصرة، بل تآمروا مع عشرة آلاف مقاتل جاؤوا لـ**استئصال** المدينة، ونساء المسلمين وذراريهم بجوارهم. ولو ظفرت الأحزاب لكان المرجّح أن يُباد أهل المدينة جميعًا.

البند	البيان
من اختار الحَكَم؟	نزل بنو قريظة أنفسهم على حكم سعد (٤١٢١)
من هو سعد؟	سيّد الأوس، حلفائهم أنفسهم
على أيّ جُرم؟	نقض العهد والبلد محاصَر
على مَن؟	المقاتلة فقط (١٥٨٤)، لا النساء والذرّية
حكم رسول الله ﷺ	«لَقَدْ حَكَمْتَ فِيهِمْ بِحُكْمِ اللَّهِ»

أخبر رسول الله ﷺ أنّ هذا الحكم **موافقٌ لحكم الله**. ولم يكن نابعًا من ثأرٍ شخصيّ، فسعدٌ نفسه حليفهم القديم. والعبرة: أنّ القاضي يحكم بـ**الحقّ**، لا بالقرابة ولا بضغط قومه.

المقاتلة وحدهم

نصّ حكم سعدٍ على «**الْمُقَاتِلَةِ**» (أي الرجال المقاتلين). فكيف نُفّذ؟ يحدّث شاهدٌ من بني قريظة أنفسهم، أسلم بعد ذلك:

حديث — جامع الترمذي، رقم ١٥٨٤

حَدَّثَنَا هَنَّادٌ، حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عُمَيْرٍ، عَنْ عَطِيَّةَ الْقُرَظِيِّ، قَالَ عُرِضْنَا عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم يَوْمَ قُرَيْظَةَ فَكَانَ مَنْ أَنْبَتَ قُتِلَ وَمَنْ لَمْ يُنْبِتْ خُلِّيَ سَبِيلُهُ فَكُنْتُ مِمَّنْ لَمْ يُنْبِتْ فَخُلِّيَ سَبِيلِي. قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

السند رواه الإمام الترمذي: عن هنّاد بن السَّريّ، عن وكيع بن الجرّاح، عن سفيان الثوري، عن عبد الملك بن عُمير، عن عطيّة القُرَظي رضى الله عنه.

التخريج: رواه الإمام الترمذي في جامعه، كتاب السير، باب ما جاء في النزول على الحكم، حديث رقم ١٥٨٤؛ وانظر أيضًا سنن أبي داود رقم ٤٤٠٤ وسنن النسائي رقم ٣٤٣٠.

الدرجة: صحيح — قال الإمام الترمذي: حسن صحيح؛ وصحّحه الشيخ الألباني، وكذا طبعة دار السلام.

المصدر: https://sunnah.com/tirmidhi:1584

كان عطيّة القرظي يومئذٍ غلامًا، فلمّا لم يكن قد بلغ **خُلِّي سبيله**، ثم أسلم وصار صحابيًّا يروي الحديث. وشهادته تدلّ على أنّ الحكم **اقتصر على الرجال البالغين** القادرين على القتال.

وهذا موافقٌ لنهي رسول الله ﷺ الصريح؛ فقد وُجدت امرأةٌ مقتولة في بعض مغازيه، **فَنَهَى عَنْ قَتْلِ النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ** (صحيح البخاري ٣٠١٥). ورُوي عن عائشة رضى الله عنها أنه لم يُقتل من نساء بني قريظة إلا امرأةٌ واحدة، لأنها هي قتلت (سنن أبي داود ٢٦٧١، حسن).

الفئة	مصيرهم (المصدر)
الرجال البالغون المقاتلون	قُتلوا (البخاري ٤١٢١، ٤١٢٢؛ الترمذي ١٥٨٢)

الفئة	مصيرهم (المصدر)
الغلمان	خُلّي سبيلهم (الترمذي ١٥٨٤)
النساء	لم يُقتلن إلا واحدةً قتلت (أبو داود ٢٦٧١)
من أسلم	أَمِن مع أهله وماله (البخاري ٤٠٢٨)

والعبرة: أنّ الإسلام حتى في العقوبة الشديدة **يفرّق** بين المقاتل وغير المقاتل. وهذا أصلٌ في أحكام الحرب في الشريعة — قبل المواثيق الدولية الحديثة بزمنٍ طويل.

وصيّة رسول الله ﷺ لأمراء الجيوش

ليس التفريق بين المقاتل وغيره حادثةً منفردة؛ فقد روى بريدة رضى الله عنه أنّ رسول الله ﷺ كان إذا أمّر أميرًا على جيشٍ أوصاه بتقوى الله، ثم قال: «**اغْزُوا بِاسْمِ اللَّهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ... وَلَا تَغُلُّوا، وَلَا تَغْدِرُوا، وَلَا تَمْثُلُوا، وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا**» (صحيح مسلم ١٧٣١).

تأمّل النهي «**وَلَا تَغْدِرُوا**» في هذه الوصية. فالمسلمون أنفسهم منهيّون أشدّ النهي عمّا فعله بنو قريظة. والشريعة التي تعاقب على الغدر هي نفسها التي **تغلّ أيدي المسلمين** عن الظلم.

كم كان عددهم؟

كم عدد رجال بني قريظة الذين قُتلوا؟ سؤالٌ يُثار كثيرًا، والجواب يقتضي **التمييز بين المصادر**.

المصدر	العدد المذكور
جامع الترمذي ١٥٨٢ (حسن صحيح، عن جابر)	أربعمائة رجل
ابن إسحاق (سيرة ابن هشام)	ستمائة إلى سبعمائة
بعض روايات السيرة الأخرى	إلى ثمانمائة أو تسعمائة
صحيح البخاري ومسلم	لم يذكرا عددًا

العدد الوحيد الوارد في روايةٍ حُكم بصحّتها هو **أربعمائة**، في حديث جابر عند الترمذي. أمّا الأعداد الأكبر فمن كتب السيرة، وأسانيدها دون أسانيد الأحاديث الصحيحة. وقد ناقش بعض الباحثين، مسلمين وغير مسلمين، دقّة تلك الأعداد الكبيرة.

من كتب السيرة: نقاش الباحثين

جمع ابن حجر العسقلاني في فتح الباري الروايات المختلفة في هذا العدد دون أن يجزم برقمٍ واحد. وفي العصر الحديث شكّك بعض الكتّاب، كـ**وليد عرفات** (١٩٧٦)، في رواية ابن إسحاق، ودافع عنها آخرون.

ولا يخاز هذا الكتاب إلى رقمٍ إلا ما جاء في أقوى الروايات. **والثابت**: أنّ الحكم وقع على الرجال المقاتلين، بسبب الغدر في الحرب، من حَكَمٍ رضوه.

المرجع:

ابن حجر، فتح الباري؛ W. N. Arafat، «ضوء جديد على قصة بني قريظة ويهود المدينة»، مجلة الجمعية الآسيوية الملكية (١٩٧٦). https://en.wikipedia.org/wiki/Banu_Qurayza

والعبرة: أنّ المسلم **صادقٌ مع تاريخه**؛ لا يحتاج إلى تضخيم الأعداد للتخويف، ولا إلى إنكار الحدث للتجميل. نحمل ما صحّ، ونبيّن حكمته.

أنزلهم الله من صياصيهم

سجّل القرآن هذا الحدث في آيتين موجزتين في ختام قصة الأحزاب، بعد أن ذكر كيف ردّ الله جيش العدوّ:

﴿وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾ تفسير ابن كثير ٣٣: ٢٦.

﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَئُوهَا ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾ تفسير ابن كثير ٣٣: ٢٧.

التعبير القرآني	الشرح (تفسير ابن كثير)
﴿الَّذِينَ ظَاهَرُوهُم﴾	بنو قريظة الذين ناصروا الأحزاب
﴿مِن صَيَاصِيهِمْ﴾	حصونهم الحجرية التي ظنّوها مانعتهم
﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾	الخوف الذي ألقاه الله فيهم
﴿وَأَرْضًا لَّمْ تَطَئُوهَا﴾	خيبر، والبلاد التي فُتحت بعدُ

تأمّل كيف أسندت الآية الأفعال إلى **الله**: «أنزل... وقذف... وأورث». فالمسلمون إنما كانوا أداةً لقدر الله. وتسمّي الآية السبب الأوّل: أنهم ﴿ظَاهَرُوهُم﴾ — أي أعانوا العدوّ المهاجم.

وبيّن ابن كثير أنّ ﴿وَأَرْضًا لَّمْ تَطَئُوهَا﴾ هي خيبر، وأدخل فيها بعض العلماء بلاد فارس والروم التي فُتحت بعدُ — موافقةً لبشارة رسول الله ﷺ حين ضرب الصخرة في الخندق (الحلقة ١٢).

والعبرة: أنّ القرآن يقصّ هذا الحدث **بإيجازٍ وسكينة** دون تهويل؛ فهو عبرةٌ في عاقبة الغدر، وفي وعد الله للصابرين.

ردّ نخيل الأنصار

منذ الهجرة كان المهاجرون يعتمدون على كرم الأنصار، الذين قاسموهم الدور والبساتين وثمر النخيل (الحلقة ٨). فلمّا كان من أمر بني النضير وبني قريظة ما كان، تغيّر الحال. يحدّث أنس بن مالك رضى الله عنه:

حديث — صحيح البخاري، رقم ٤١٢٠

حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي الأَسْوَدِ، حَدَّثَنَا مُعْتَمِرٌ، وَحَدَّثَنِي خَلِيفَةُ، حَدَّثَنَا مُعْتَمِرٌ، قَالَ سَمِعْتُ أَبِي، عَنْ أَنَسٍ ـ رضى الله عنه ـ قَالَ كَانَ الرَّجُلُ يَجْعَلُ لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم النَّخَلاَتِ حَتَّى افْتَتَحَ قُرَيْظَةَ وَالنَّضِيرَ، وَإِنَّ أَهْلِي أَمَرُونِي أَنْ آتِيَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فَأَسْأَلَهُ الَّذِينَ كَانُوا أَعْطَوْهُ أَوْ بَعْضَهُ. وَكَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم قَدْ أَعْطَاهُ أُمَّ أَيْمَنَ، فَجَاءَتْ أُمُّ أَيْمَنَ فَجَعَلَتِ الثَّوْبَ فِي عُنُقِي تَقُولُ كَلاَّ وَالَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ لاَ يُعْطِيكَهُمْ وَقَدْ أَعْطَانِيهَا، أَوْ كَمَا قَالَتْ، وَالنَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ لَكِ كَذَا. وَتَقُولُ كَلاَّ وَاللَّهِ. حَتَّى أَعْطَاهَا، حَسِبْتُ أَنَّهُ قَالَ عَشَرَةَ أَمْثَالِهِ. أَوْ كَمَا قَالَ.

السند رواه الإمام البخاري: عن ابن أبي الأسود، عن مُعتمِر؛ وعن خليفة بن خيّاط، عن مُعتمِر، عن أبيه سليمان التيمي، عن أنس بن مالك رضى الله عنه.

التخريج: رواه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب مرجع النبي ﷺ من الأحزاب ومخرجه إلى بني قريظة، حديث رقم ٤١٢٠؛ وانظر أيضًا رقم ٢٦٣٠؛ وصحيح مسلم رقم ١٧٧١.

الدرجة: صحيح — أخرجه البخاري في صحيحه، أصحّ الكتب بعد القرآن الكريم بإجماع أهل الحديث.

المصدر: https://sunnah.com/bukhari:4120

في هذا الحديث قصّتان: الأولى أنه لمّا قُسمت أموال بني النضير وقريظة واستغنى المهاجرون عن الأنصار، ردّ رسول الله ﷺ **النخيلَ التي كان الأنصار منحوها** إلى أصحابها. والثانية قصة **أمّ أيمن** رضى الله عنها التي أبت أن تردّ ما أُعطيته.

من كتب السيرة: من أمّ أيمن؟

أمّ أيمن (بركة) رضى الله عنها حاضنة رسول الله ﷺ منذ صغره بعد وفاة أمّه آمنة، وكان يكرمها، وقد قال عنها: «**أُمِّي بَعْدَ أُمِّي**» (كتب السيرة). وهي أمّ أسامة بن زيد رضى الله عنهما.

وانظر كيف عامل امتناعها **برفق**: لم يغضب عليها، بل ظلّ يزيدها حتى رضيت — نحو **عشرة أضعاف**. فرُدّ حقّ الأنصار، وطُيّب خاطر أمّ أيمن.

المرجع:

ويكيبيديا، «أمّ أيمن (بركة)»؛ صحيح مسلم ١٧٧١. https://en.wikipedia.org/wiki/Umm_Ayman_(Baraka)

والعبرة: أنّ **العطيّة التي تُمنح في الشدّة يحسن ردّها في السعة**. وفي ردّ الحقوق نراعي مشاعر جميع الأطراف بالحكمة والكرم.

«وجبريل معك»

لم تكن الحرب بالسيف والنبل وحدهما؛ فقد كان **الشعر** في ذلك الزمان وسيلةً بالغة التأثير، يسير الهجاء منه في أرجاء الجزيرة فيهدم شرف قومٍ بأكمله. واستعمل المشركون شعراءهم في هجاء رسول الله ﷺ.

روى البراء بن عازب رضى الله عنه أنّ النبيّ ﷺ قال لحسّان بن ثابت رضى الله عنه :«**اهْجُهُمْ — أَوْ هَاجِهِمْ — وَجِبْرِيلُ مَعَكَ**» (صحيح البخاري ٤١٢٣). وفي الرواية التي تليها أنه قال ذلك **يَوْمَ قُرَيْظَةَ** (صحيح البخاري ٤١٢٤).

وفي رواية الإمام مسلم قال رسول الله ﷺ عن الشعر الذي يذبّ عن الإسلام: «**لَهُوَ أَشَدُّ عَلَيْهِمْ مِنْ رَشْقٍ النَّبْلِ**» (صحيح مسلم ٢٤٩٠).

البند	العبرة
حسّان بن ثابت	الموهبة الأدبية واللغوية في نصرة الحقّ
«وجبريل معك»	الله ينصر من ينصر دينه بلسانه
يوم قريظة	حرب الكلمة تسير جنبًا إلى جنب مع الميدان
إعلام اليوم	الكتابة والمرئيّات ووسائل التواصل هي «شعر» زماننا

والعبرة: أنّ الذبّ عن الحقّ **بالكلمة الصادقة الجميلة** من الجهاد. لكنه يجب أن يقوم على الحقّ — لا على البهتان، ولا الكذب، ولا السبّ المتجاوز للحدّ.

دعاء سعد ووفاته

نعود إلى حديث عائشة رضى الله عنها المذكور في الفصل ٥٠ فبعد تنفيذ الحكم دعا سعدٌ دعاءً عجيبًا: إن كان بقي من حرب قريش شيء **فأبقِه لها**، وإن كانت الحرب قد وُضعت **فاجعل موته في جرحه**.

فاستجاب الله دعاءه، فانفجر الجرح في أكحله وقد كان رقأ، **فسال الدم** حتى بلغ خيمة بني غفار القريبة، ومات سعدٌ شهيدًا من جرحه يوم الخندق. وصدق ظنّه: فبعد الخندق **لم تغزُ قريشٌ المدينة أبدًا**.

من كتب السيرة: رُفيدة وخيمة التمريض

روى ابن إسحاق أنّ سعدًا كان يُمرَّض في خيمة **رُفيدة الأسلمية** في المسجد النبوي، وكانت امرأةً تداوي الجرحى والمرضى احتسابًا. ويذكرها كثير من الكتّاب بين **أوائل الممرّضات في تاريخ الإسلام**، وتحمل اسمَها جوائزُ للتمريض في عددٍ من البلاد الإسلامية اليوم.

المرجع:

ابن هشام، السيرة النبوية؛ ويكيبيديا، «رفيدة الأسلمية». https://en.wikipedia.org/wiki/Rufaida_Al-Aslamia

ملحوظة طبّية: عِرق الأكحل والكيّ

ذكر الحديث أنّ سعدًا رُمي في **الأكحل**، وهو عرقٌ في وسط الذراع، عرّفه أهل اللغة والطبّ العرب بأنه الوريد في ثنية المرفق — قريبٌ من **الوريد المرفقي الناصف** (median cubital vein) الذي يُسحب منه الدم اليوم (ويكيبيديا، «Median cubital vein»). والجرح في مثل هذا العرق قد يسبّب نزفًا غزيرًا متكرّرًا.

ورسول الله ﷺ **كوى** ذلك الجرح بالحديد المحمّى (جامع الترمذي ١٥٨٢؛ صحيح مسلم ٢٢٠٨). والكيّ طريقةٌ لإيقاف النزف بالحرارة، ومبدؤه لا يزال مستعملًا في الجراحة الحديثة عبر **الكيّ الكهربائي** (ويكيبيديا، «Cauterization»). ومع ذلك قال: «**وَمَا أُحِبُّ أَنْ أَكْتَوِيَ**» (صحيح البخاري ٥٦٨٣) — أي لا يُلجأ إليه إلا عند الحاجة.

والعبرة: لم يطلب سعدٌ طول العمر لنفسه، بل **للجهاد في سبيل الله.** فحياته تُقاس بالأمانة التي أدّاها.

اهتزاز عرش الرحمن

لم تكن وفاة سعد بن معاذ حدثًا عاديًّا، فقد أخبر رسول الله ﷺ بأمرٍ لم يُذكر عن أحدٍ غيره من الصحابة:

حديث — صحيح البخاري، رقم ٣٨٠٣

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، حَدَّثَنَا فَضْلُ بْنُ مُسَاوِرٍ، خَتَنُ أَبِي عَوَانَةَ حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ، عَنِ الأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي سُفْيَانَ، عَنْ جَابِرٍ ـ رضى الله عنه ـ سَمِعْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ اهْتَزَّ الْعَرْشُ لِمَوْتِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ. وَعَنِ الأَعْمَشِ حَدَّثَنَا أَبُو صَالِحٍ عَنْ جَابِرٍ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم مِثْلَهُ. فَقَالَ رَجُلٌ لِجَابِرٍ فَإِنَّ الْبَرَاءَ يَقُولُ اهْتَزَّ السَّرِيرُ. فَقَالَ إِنَّهُ كَانَ بَيْنَ هَذَيْنِ الْحَيَّيْنِ ضَغَائِنُ، سَمِعْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ اهْتَزَّ عَرْشُ الرَّحْمَنِ لِمَوْتِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ.

السند رواه الإمام البخاري: عن محمد بن المثنّى، عن فضل بن مساور، عن أبي عوانة، عن الأعمش، عن أبي سفيان (طلحة بن نافع)، عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما؛ وعن الأعمش، عن أبي صالح، عن جابر.

التخريج: رواه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب مناقب الأنصار، باب مناقب سعد بن معاذ، حديث رقم ٣٨٠٣؛ وصحيح مسلم رقم ٢٤٦٦.

الدرجة: صحيح — أخرجه البخاري في صحيحه، أصحّ الكتب بعد القرآن الكريم بإجماع أهل الحديث.

المصدر: https://sunnah.com/bukhari:3803

تأمّل حزم جابر: لمّا قيل له إنّ البراء (من الأوس) يقول إنّ الذي اهتزّ هو السرير، ردّ جابر (وهو من الخزرج) هذا التأويل وذكر لفظ النبيّ ﷺ صريحًا: **عرش الرحمن**. فلم يدع العصبية القبلية تؤثّر في الرواية. وهذه أمانة الصحابة في تبليغ الحديث.

وذكر الإمام النووي القول الذي اختاره كثير من العلماء: أنّ العرش اهتزّ حقيقةً **فرحًا** بقدوم روح سعد. نؤمن به ولا نسأل عن الكيفية، لأنه من الغيب.

من كتب السيرة: جنازةٌ تحملها الملائكة

قال أنس بن مالك رضى الله عنه: لمّا حُملت جنازة سعد قال المنافقون: «مَا أَخَفَّ جَنَازَتَهُ!» — يعرّضون بحكمه في بني قريظة. فبلغ ذلك النبيَّ ﷺ فقال: «**إِنَّ الْمَلَائِكَةَ كَانَتْ تَحْمِلُهُ**» (جامع الترمذي ٣٨٤٩، حسن صحيح).

وفي رواية النسائي قال: «هَذَا الَّذِي تَحَرَّكَ لَهُ الْعَرْشُ، وَفُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَشَهِدَهُ سَبْعُونَ أَلْفًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ، لَقَدْ ضُمَّ ضَمَّةً ثُمَّ فُرِّجَ عَنْهُ» (سنن النسائي ٢٠٥٥، وصحّحه الألباني). فإذا كان سعدٌ قد ضُمّ في قبره، فنحن أحوج إلى الاستعداد.

المرجع:

جامع الترمذي ٣٨٤٩؛ سنن النسائي ٢٠٥٥. https://sunnah.com/nasai:2055

والعبرة: أنّ المنزلة عند الله لا تُقاس بـ**طول العمر** ولا بـ**كثرة المال**. مات سعدٌ شابًّا، فاستقبلته السماء والعرش، ولم ينل تعريض المنافقين من كرامته شيئًا.

منديل سعد في الجنة

ووصف رسول الله ﷺ منزلة سعد في الجنة بمثلٍ جميلٍ قريب الفهم:

حديث — صحيح البخاري، رقم ٣٨٠٢

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، حَدَّثَنَا غُنْدَرٌ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، قَالَ سَمِعْتُ الْبَرَاءَ ـ رضى الله عنه ـ يَقُولُ أُهْدِيَتْ لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم حُلَّةُ حَرِيرٍ، فَجَعَلَ أَصْحَابُهُ يَمَسُّونَهَا وَيَعْجَبُونَ مِنْ لِينِهَا فَقَالَ أَتَعْجَبُونَ مِنْ لِينِ هَذِهِ لَمَنَادِيلُ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ خَيْرٌ مِنْهَا. أَوْ أَلْيَنُ. رَوَاهُ قَتَادَةُ وَالزُّهْرِيُّ سَمِعَا أَنَسًا عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم.

السند رواه الإمام البخاري: عن محمد بن بشّار، عن غُندر، عن شعبة، عن أبي إسحاق، عن البراء بن عازب رضى الله عنه؛ ورواه أيضًا قتادة والزهري عن أنس.

التخريج: رواه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب مناقب الأنصار، باب مناقب سعد بن معاذ، حديث رقم ٣٨٠٢؛ وصحيح مسلم رقم ٢٤٦٨.

الدرجة: صحيح — أخرجه البخاري في صحيحه، أصحّ الكتب بعد القرآن الكريم بإجماع أهل الحديث.

المصدر: https://sunnah.com/bukhari:3802

تعجّب الصحابة من لين الحرير، وهو أغلى اللباس يومئذٍ، فصرف أنظارهم إلى **المنديل** — أدنى الأشياء، يُمسح به اليد — وأنّ مناديل سعدٍ في الجنة خيرٌ من أجود حرير الدنيا. فكيف بثيابه وقصوره!

الحدث	حياة سعد بن معاذ (خلاصة)
إسلامه	على يد مصعب بن عمير في المدينة قبل الهجرة (كتب السيرة)
قومه	أسلم بنو عبد الأشهل جميعًا في يومٍ واحد (كتب السيرة)
بدر وأحد	مع رسول الله ﷺ في الميدان (الحلقتان ٩ و١٠)
غَزْوَةُ الْخَنْدَقِ	رُمي في أكحله (البخاري ٤١٢٢)

الحدث	حياة سعد بن معاذ (خلاصة)
بنو قريظة	حكم بحكم الله (البخاري ٤١٢١)
وفاته	ذو القعدة ٥هـ، وعمره نحو ٣٧ سنة (كتب السيرة)

نحو **ستّ سنوات** فقط بين إسلام سعد ووفاته، لكنه في تلك المدّة القصيرة أدخل قومه كلّهم في الإسلام، وجاهد في كلّ ميدان، وكان حَكَمًا عدلًا. والعبرة: أنّ **بركة العمر** أهمّ من طوله.

العدل ولو مع العدوّ

قد يُساء استعمال قصة بني قريظة — إمّا لاتّهام الإسلام بأنه دين عنف، وإمّا من جاهلٍ يبرّر بها كراهية قومٍ من الناس. وكلاهما **خطأ**. وقد وضع القرآن مبدأً حاسمًا:

﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ۚ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ تفسير ابن كثير ٥: ٨.

ونهى الإسلام عن الغدر المفاجئ حتى بمن يُخشى غدره: ﴿فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾ تفسير ابن كثير ٨: ٥٨.

المبدأ	الدليل
الوفاء بالعهود	المائدة ٥: ١؛ الإسراء ١٧: ٣٤
عدم الغدر ولو بالعدوّ	الأنفال ٨: ٥٨
العدل ولو مع المبغَض	المائدة ٥: ٨
لا يُقتل النساء والصبيان	صحيح البخاري ٣٠١٥
حماية غير المسلمين المعاهَدين	صحيح البخاري ٣١٦٦
البرّ بمن لم يقاتل	الممتحنة ٦٠: ٨

قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ قَتَلَ مُعَاهَدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ**» (صحيح البخاري ٣١٦٦). وهذا يدلّ على أنّ دم غير المسلم المسالم **معصومٌ** في الشريعة.

أحداث بني قريظة **حكمٌ خاصّ** من وليّ أمرٍ شرعيّ، عبر حَكَمٍ رضيه الطرفان، في طائفةٍ قاتلت ونقضت العهد في الحرب. **ولا يجوز أن تُتّخذ ذريعةً** لإيذاء أيّ فردٍ أو قومٍ اليوم.

يهودٌ أكرمتهم السيرة

وتسجّل السيرة النبوية أيضًا يهودًا **أكرمهم** رسول الله ﷺ، منهم **عبد الله بن سلام** رضى الله عنه، حبر يهود المدينة الذي أسلم عند مقدم النبيّ ﷺ، وأخبر أنه من أهل الجنة (صحيح البخاري ٣٨١٢).

وذكر ابن إسحاق **مُخَيْرِيق**، حبرًا غنيًّا من اليهود، قال لقومه يوم أُحد: «وَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ نَصْرَ مُحَمَّدٍ عَلَيْكُمْ لَحَقٌّ». فخرج يقاتل مع المسلمين حتى قُتل، وأوصى بماله لرسول الله ﷺ، فقال عنه: «**مُخَيْرِيقٌ خَيْرُ يَهُودَ**» (رواية السيرة). والعبرة: أنّ الإسلام **يزن الناس بأعمالهم** لا بأنسابهم.

مصادر أخبار بني قريظة

وصلتنا أخبار بني قريظة من ثلاثة أنواع من المصادر تختلف درجتها. ويميّز هذا الكتاب بينها ليعرف القارئ **ما هو ثابت وما هو مشهور**:

مصادر أخبار بني قريظة

القرآن الكريم (4)

- أُنزلوا من حصونهم وقُذف في قلوبهم الرعب (33: 26)
- أورثَ المسلمين أرضهم وديارهم (33: 27)
- ناقضو العهد (8: 56–58)
- العدل ولو مع العدوّ (5: 8)

حديث صحيح (9)

- جبريل: «ما وضعتُ السلاح»
- غبار موكب جبريل
- صلاة العصر/الظهر في بني قريظة
- «قوموا إلى سيّدكم»
- حكم سعد: «حكم الله»
- من لم يُنبت: عطيّة القرظي
- من أسلم أُمِّن (4028)
- ردّ نخيل الأنصار
- وفاة سعد واهتزاز العرش

كتب السيرة (4)

- حيّ وكعب بن أسد ينقضان العهد
- عروض كعب بن أسد الثلاثة
- أبو لبابة والسارية
- العدد 600–900

تُذكر أخبار كتب السيرة مع بيان درجتها في الفصل المتعلّق بها.

الشكل ٤: درجة مصادر أخبار بني قريظة في هذا الكتاب.

القصة	المصدر والدرجة
إنزالهم من الصياصي؛ الرعب؛ القتل والأسر؛ إيراث الأرض	القرآن الكريم (الأحزاب ٣٣: ٢٦-٢٧) — قطعيّ
جبريل؛ الغبار؛ صلاة العصر؛ «قوموا إلى سيّدكم»؛ حكم سعد	صحيح البخاري ٤١١٨-٤١٢٢ — صحيح
صلاة الظهر (رواية أخرى)	صحيح مسلم ١٧٧٠ — صحيح
عطيّة القرظي؛ العدد ٤٠٠؛ الملائكة تحمل الجنازة	جامع الترمذي ١٥٨٤، ١٥٨٢، ٣٨٤٩ — حسن صحيح
اهتزاز العرش؛ منديل سعد	صحيح البخاري ٣٨٠٣، ٣٨٠٢ — صحيح
لم تُقتل إلا امرأةٌ واحدة	سنن أبي داود ٢٦٧١ — حسن
حييّ وكعب؛ العروض الثلاثة؛ أبو لبابة؛ العدد ٦٠٠-٩٠٠	كتب السيرة (ابن إسحاق) — مشهور، وأسانيده متفاوتة

ليست قصص كتب السيرة مكذوبةً بالضرورة؛ فقد رواها علماء سيرةٍ ثقات. لكنّها **لا ترقى** إلى منزلة القرآن والحديث الصحيح. **ولم يُدرج** هذا الكتاب الإسرائيليات ولا الروايات الظاهرة الوضع.

آيات القرآن في العهد والغدر

قصة بني قريظة قصةُ عهد. وقبل أن يقصّ القرآن نهايتهم في الأحزاب ٣٣: ٢٦-٢٧ (الفصل ١٧)، كان قد وضع مبادئ واضحة في العهود: متى يجب الوفاء بها، وما الحكم إذا نُقضت.

الأنفال ٨: ٥٥-٥٨

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝ الَّذِينَ عَاهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ﴾ (الأنفال ٨: ٥٥-٥٦).

فسّر ابن كثير الآية تفسيرًا عامًّا: قومٌ كلّما عاهدوا نقضوا. وذكر بعض المفسّرين أنها في بني قريظة، ومنهم صاحب «تنوير المقباس» المنسوب إلى ابن عباس (ونسبة هذا الكتاب إلى ابن عباس ضعيفة عند العلماء). ثم أمرت الآية التالية بالشدّة في حرب هؤلاء (8: 57)، ووضعت الآية ٥٨ شرطًا مهمًّا: إن خيف الغدر فلينبذ العهد علانيةً أوّلًا، لا أن يُهاجَموا على غِرّة (الأنفال ٨: ٥٨).

الآية	المبدأ	صلته بهذه القصة
المائدة ٥: ١	﴿أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾	وفّى المسلمون بصحيفة المدينة (الفصل ٢)
الإسراء ١٧: ٣٤	﴿إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾	كلّ طرفٍ مسؤولٌ عن عهده
النحل ١٦: ٩١-٩٢	﴿وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾	العهد الممزَّق يوم الخندق (الفصل ٣)
التوبة ٩: ٤	إتمام العهد لمن لم ينقضه	القبيلة الوفيّة لم يُتعرَّض لها
الأنفال ٨: ٧٢	لا نصرة على قومٍ بيننا وبينهم ميثاق	احترام العهد ولو مع غير المسلمين
الأنفال ٨: ٥٨	انبذ العهد علانيةً ولا تغدر	الإسلام ينهى عن مباغتة المعاهَد

حديث: آية المنافق

روى عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما أنّ النبيّ ﷺ قال: «أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا... إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ».

الدرجة: صحيح – أخرجه البخاري في صحيحه، أصحّ الكتب بعد القرآن الكريم بإجماع أهل الحديث.

حديث: لواءُ لكلّ غادر

روى أنس بن مالك رضى الله عنه أنّ النبيّ ﷺ قال: «لِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُعْرَفُ بِهِ».

الدرجة: صحيح – صحيح البخاري ٣١٨٦؛ ورُوي أيضًا عن ابن عمر، صحيح البخاري ٣١٨٧.

كلا الحديثين موجّهٌ إلى المسلمين أنفسهم؛ فالغدر ليس ذنبًا يُرمى به الآخرون فحسب، بل هو أبغض خصال النفاق، والغادر يُفضح على رؤوس الخلائق يوم القيامة.

العبرة

يطالبنا القرآن بالوفاء بالعهد مع كلّ أحد، مسلمًا كان أو غير مسلم. فإن غدر الطرف الآخر لم يُبح لنا الإسلام أن نقابل الغدر بالغدر، وإنما أباح نبذ العهد علانيةً وبعدل.

ثلاث قبائل، ثلاثة عهود، ثلاث نهايات

كانت قبائل اليهود الثلاث الكبرى في المدينة (الفصل ١) مرتبطةً بصحيفة المدينة، ثم خرجت ثلاثتها من ذلك العهد، لكن في ظروفٍ مختلفة، فاختلفت نهاياتها. وتساعدنا هذه المقارنة على فهم أنّ كلّ قرارٍ بُني على الفعل، لا على القوم أو الدين.

البند	بنو قينقاع	بنو النضير	بنو قريظة
الوقت	بعد بدر، سنة ٢هـ	ربيع الأوّل، سنة ٤هـ	ذو القعدة، سنة ٥هـ
الفعل	إعلان العداوة والاعتداء على حرمة امرأةٍ مسلمة في السوق (كتب السيرة)	التآمر على قتل رسول الله ﷺ وهو جالسٌ إلى جدارٍ من بيوتهم (كتب السيرة)	نقض العهد ومظاهرة الأحزاب والمدينة محاصَرة (الفصل ٣)
الحالة	وقت سلم	وقت سلم	وقت حرب؛ والمدينة مهدَّدة من الداخل
المآل	أُجلوا إلى الشام وأُذن لهم بحمل المنقول (كتب السيرة)	أُجلوا؛ بعضهم إلى خيبر وبعضهم إلى الشام؛ ونزلت سورة الحشر	نزلوا على حكم سعد بن معاذ (الفصلان ١٣–١٤)

حديث: اختلاف مصير بني النضير وقريظة

قال ابن عمر رضى الله عنهما: «حَارَبَتِ النَّضِيرُ وَقُرَيْظَةُ (رسولَ الله ﷺ)، فَأَجْلَى بَنِي النَّضِيرِ، وَأَقَرَّ قُرَيْظَةَ وَمَنَّ عَلَيْهِمْ، حَتَّى حَارَبَتْ قُرَيْظَةُ».

الدرجة: صحيح — صحيح البخاري ٤٠٢٨؛ صحيح مسلم ١٧٦٦.

هذا الحديث مهمّ؛ فحين أُجلي بنو النضير لم يُتعرَّض لبني قريظة، بل عوملوا بالإحسان، ولم يؤاخَذوا بفعل قبيلةٍ أخرى. وإنما اتُّخذ الإجراء حين حاربوا هم المسلمين في أحرج الأوقات.

واختلاف العقوبة مرتبطٌ باختلاف الحال؛ فبنو قينقاع وبنو النضير نقضوا العهد في وقت السلم فأُجلوا، أمّا بنو قريظة فنقضوه والمدينة كلّها محاصرة بعشرة آلاف مقاتل، وكان غدرهم يمكن أن يفضي إلى قتل نساء المسلمين وذراريهم خلف الصفوف (الفصل ١). ثم إنهم هم الذين اختاروا النزول على حكم سعد (الفصل ١٣).

العبرة

يقتضي العدل أن يُحكم على كلّ طرفٍ بفعله هو؛ فالإسلام لا يعاقب قومًا بذنب قومٍ آخرين، ولا يسوّي بين الغدر في السلم والغدر في الحرب.

أعلام أحداث بني قريظة

يلخّص الجدول الآتي أبرز الأعلام المذكورين في هذا الكتاب وأدوارهم، مع ذكر مصدر كلّ معلومة ليميّز القارئ بين الرواية الصحيحة ورواية كتب السيرة.

في جانب المسلمين

العَلَم	الدور	المصدر
سعد بن معاذ رضى الله عنه	سيّد الأوس؛ الحَكَم المختار؛ مات من جرح الخندق	صحيح البخاري ٤١٢١، ٣٨٠٣
أبو لبابة رضى الله عنه	حليف قريظة القديم؛ أخطأ بإشارته ثم تاب	كتب السيرة (الفصل ١١)
سعد بن عبادة رضى الله عنه	سيّد الخزرج؛ من الرسل للتثبّت من خبر الغدر	كتب السيرة (الفصل ٤)
عبد الله بن رواحة رضى الله عنه	كان من الرسل أيضًا	كتب السيرة
عليّ بن أبي طالب رضى الله عنه	حامل الراية إلى بني قريظة	كتب السيرة
خلّاد بن سويد رضى الله عنه	استُشهد بحجر رحىً أُلقي عليه من أعلى الحصن	كتب السيرة
ثابت بن قيس بن شمّاس رضى الله عنه	استوهب دم الزَّبِير بن باطا الذي كان قد أحسن إليه	كتب السيرة
سلمى بنت قيس (أمّ المنذر) رضى الله عنها	استوهبت رفاعة بن سموأل	كتب السيرة

في جانب بني قريظة وحلفائهم

العَلَم	الدور	المصدر
كعب بن أسد	سيّد قريظة؛ صاحب العهد؛ عرض الخصال الثلاث	كتب السيرة (الفصلان ٣، ١٠)
حُيَيّ بن أخطب	زعيم بني النضير؛ أغرى كعبًا بنقض العهد	كتب السيرة (الفصل ٣)
عمرو بن سُعْدى	أبى المشاركة في الغدر وخرج من الحصن	كتب السيرة (الفصل ١٢)
ثعلبة وأَسَيد ابنا سَعْيَة؛ أسد بن عُبيد	أسلموا في الليلة التي سبقت النزول	كتب السيرة (الفصل ١٢)
عطيّة القرظي رضى الله عنه	غلامٌ خُلّي سبيله ثم صار صحابيًّا	جامع الترمذي ١٥٨٤
الزَّبِير بن باطا	أُعطي الأمان بشفاعة ثابت، لكنه اختار اللحاق بقومه	كتب السيرة
رفاعة بن سموأل	نجا بشفاعة أمّ المنذر؛ وقيل إنه أسلم	كتب السيرة
ريحانة بنت زيد	من السبي؛ واختُلف في زواج رسول الله ﷺ بها	كتب السيرة (السؤال ٩)

من كتب السيرة: ثابت بن قيس والزِّبِير بن باطا

روى ابن إسحاق أنّ الزِّبِير بن باطا كان قد منّ على ثابت بن قيس في الجاهلية، فأراد ثابت أن يجزيه، فاستوهبه من رسول الله ﷺ فوهبه له، ومعه أهله وماله. غير أنّ الزِّبِير لمّا علم بمصير سادة قومه آثر ألّا يعيش بعدهم.

الدرجة: رواية كتب السيرة (ابن هشام، السيرة النبوية، باب غزوة بني قريظة)؛ ليست في صحيح البخاري ولا مسلم.

وهذه القصص، وإن كانت من كتب السيرة، تُظهر أنّ باب الشفاعة والعفو بقي مفتوحًا؛ فقد أُذن للصحابة أن يشفعوا لمن أحسن إليهم، وقبل رسول الله ﷺ شفاعتهم.

العبرة

وراء هذا الحدث الثقيل وجوهٌ مختلفة: من غدر، ومن أبى الغدر، ومن اختار الإسلام، وصحابيٌّ يحفظ جميل عدوٍّ قديم. فالتاريخ ليس أرقامًا فحسب، بل هو اختيارات بشر.

من ذرّية قريظة خرج العلماء

لم تُنهِ أحداث بني قريظة قصة ذرّيتهم؛ فالغلمان الذين خُلّي سبيلهم يومئذٍ (الفصل ١٥) نشؤوا في مجتمع المدينة، وصار بعضهم وبعض أبنائهم من أعلام العلم المحترمين.

عطيّة القرظي رضى الله عنه

روى عطيّة نفسه أنه كان من الغلمان الذين لم يبلغوا يوم قريظة فخُلّي سبيله (جامع الترمذي ١٥٨٤؛ الفصل ١٥). ثم أسلم وصار صحابيًّا لرسول الله ﷺ. وحديثه مرويٌّ في كتب السنن، واستدلّ به العلماء على علامات البلوغ.

محمد بن كعب القرظي

محمد بن كعب القرظي تابعيٌّ من أهل المدينة، اشتهر بتفسير القرآن والزهد والورع. وذكر أصحاب كتب التراجم، كالبخاري في «التاريخ الكبير» وابن حجر في «تهذيب التهذيب»، أنّ أباه كعبًا كان من غلمان بني قريظة الذين لم يُقتلوا يومئذٍ. واختلفت الروايات في سنة وفاته بين نحو ١٠٨ و١٢٠هـ (sunnah.com، ترجمة الراوي محمد بن كعب القرظي).

ونقل الإمام الطبري وابن كثير كثيرًا من تفسيره في كتبهما. فخفيد قومٍ نقضوا العهد صار معلّمًا يعلّم الأمّة معاني كتاب الله.

> **ملحوظة: درجة المعلومات**
>
> قصة عطيّة القرظي في حديثٍ قال فيه الترمذي: حسن صحيح. أمّا المعلومات عن محمد بن كعب القرظي وأبيه فمأخوذة من كتب الرجال والتراجم، لا من الصحيحين.

العبرة

يُخرج الله الحيّ من الميت، وخطأ الجيل السابق لا يُغلق باب الهداية أمام الجيل اللاحق. والإسلام يزن كلّ إنسانٍ بعمله: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ (الأنعام ٦: ١٦٤).

الخطّ الزمني لأحداث بني قريظة

يرتّب الجدول الآتي أحداث هذا الكتاب على تسلسلها. والتواريخ مأخوذة من كتب السيرة، وتختلف الروايات في مدّة بعض الأحداث.

الوقت	الحدث	المصدر
سنة ١هـ	صحيفة المدينة تربط المسلمين بالقبائل اليهودية	كتب السيرة (الفصل ٢)
سنة ٤هـ	إجلاء بني النضير؛ وإقرار بني قريظة والإحسان إليهم	صحيح البخاري ٤٠٢٨
شوال ٥هـ	الأحزاب تحاصر المدينة؛ غزوة الخندق	الْحَلْقَةُ ١٢
أثناء الحصار	حيّ يغري كعبًا؛ تمزيق العهد	كتب السيرة (الفصل ٣)
أثناء الحصار	إرسال سعد بن معاذ وسعد بن عبادة وصاحبيهما للتثبّت من الخبر	كتب السيرة (الفصل ٤)
آخر الحصار	الريح وجنود الله؛ انصراف الأحزاب	الأحزاب ٣٣: ٩، ٢٥
يوم انصراف الأحزاب	جبريل يأتي: «قد وضعتَ السلاح؟»	صحيح البخاري ٤١٢٢
اليوم نفسه	«لا يصلّينّ أحدٌ العصر إلا في بني قريظة»	صحيح البخاري ٤١١٩
ذو القعدة ٥هـ	حصار الحصون؛ نحو ٢٥ ليلة بحسب ابن إسحاق	كتب السيرة (الفصل ٩)

الوقت	الحدث	المصدر
أثناء الحصار	عروض كعب الثلاثة؛ إشارة أبي لبابة وتوبته	كتب السيرة (الفصلان ١٠–١١)
ليلة النزول	إسلام بعضهم	كتب السيرة (الفصل ١٢)
يوم النزول	استدعاء سعد حَكَمًا؛ «قوموا إلى سيّدكم»	صحيح البخاري ٤١٢١
بعد ذلك	تنفيذ الحكم؛ لم يُقتل الغلمان ولا النساء	جامع الترمذي ١٥٨٤
بعد قليل	انفجار جرح سعد؛ وفاته؛ اهتزاز العرش	صحيح البخاري ٤١٢٢، ٣٨٠٣

العبرة

يبيّن هذا الخطّ الزمني أنّ أحداث بني قريظة لم تكن فعلًا مفاجئًا؛ فقد سبقها عهدٌ لسنوات، وإحسانٌ بعد إجلاء بني النضير، وتثبّتٌ من الخبر، وختمها تحكيمٌ متّفق عليه. وفهم تسلسل الأحداث يعين على الحكم بالعدل.

أسئلة شائعة عن بني قريظة

١. هل عوقب بنو قريظة لأنهم يهود؟

لا. فقد عاشوا في المدينة آمنين سنواتٍ في ظلّ صحيفة المدينة، وأُقرّوا وأُحسن إليهم بعد إجلاء بني النضير (صحيح البخاري ٤٠٢٨؛ الفصل ٢٥). وإنما اتُّخذ الإجراء لأنهم مزّقوا العهد وظاهروا العدوّ في الحرب. وظلّ رسول الله ﷺ يعامل اليهود إلى آخر حياته؛ فقد تُوفّي ودرعه مرهونةٌ عند يهوديّ بثلاثين صاعًا من شعير (صحيح البخاري ٢٩١٦).

٢. مَن الذي أصدر الحكم؟

رضي بنو قريظة أنفسهم بالنزول على حكم سعد بن معاذ، سيّد الأوس حلفائهم القدامى (صحيح البخاري ٤١٢١؛ الفصلان ١٣–١٤). ثم قال رسول الله ﷺ إنّ سعدًا حكم بحكم الله.

٣. لماذا لم يُجلَوا كما أُجلي بنو النضير؟

لأنّ الحال مختلفة (الفصل ٢٥)؛ فبنو النضير نقضوا العهد في السلم، وبنو قريظة نقضوه والمدينة محاصرة وأرواح نساء المسلمين وذراريهم مهدَّدة. ثم إنّ حيي بن أخطب الذي أُجلي مع بني النضير عاد يحرّض القبائل على غزو المدينة، فدلّ ذلك على أنّ الإجلاء لم يُنهِ الخطر.

٤. هل قُتل النساء والصبيان؟

لا. فقد خُلّي سبيل الغلمان الذين لم يبلغوا (جامع الترمذي ١٥٨٤)، ولم تُقتل النساء إلا امرأةً قتلت مسلمًا (سنن أبي داود ٢٦٧١، حسن؛ الفصل ١٥). وهذا موافقٌ لنهي رسول الله ﷺ عن قتل النساء والصبيان في الحرب (صحيح البخاري ٣٠١٥).

٥. كم كان عدد من قُتل؟

العدد الوحيد في روايةٍ حُكم بصحّتها هو أربعمائة (جامع الترمذي ١٥٨٢). أمّا الستمائة إلى التسعمائة فمن كتب السيرة، وقد شكّك فيها بعض الباحثين المعاصرين (الفصل ١٦). ويلتزم هذا الكتاب بأقوى الروايات دون تهويلٍ أو إنكار.

٦. كم دام حصار الحصون؟

ذكر ابن إسحاق خمسًا وعشرين ليلة، وفي روايات أخرى خمس عشرة ليلة أو نحو شهر (الفصل ٩). ولم يذكر القرآن ولا الحديث الصحيح المدّة.

٧. هل صحّ أنّ أبا لبابة ربط نفسه إلى سارية المسجد؟

القصة مشهورة في كتب السيرة والتفسير (الفصل ١١)، رواها ابن إسحاق، وربطها بعض المفسّرين بالأنفال ٨: ٢٧ أو التوبة ٩: ١٠٢. وليست في صحيح البخاري ولا مسلم، فتُذكر روايةً من روايات السيرة. والسارية المنسوبة إليه في المسجد النبوي تُعرف بأُسطوانة أبي لبابة أو أُسطوانة التوبة.

٨. هل تجيز قصة صلاة العصر في بني قريظة تأخير الصلاة؟

لا. فالحديث يعلّم الاجتهاد وأدب الخلاف في فهم الأمر (الفصلان ٧–٨)، لا الإذن بتأخير الصلاة بغير عذر. ولم يعنّف رسول الله ﷺ أيّ الفريقين لأنّ كليهما اجتهد في طاعته.

٩. هل كانت ريحانة بنت زيد زوجةً لرسول الله ﷺ؟

اختلف أهل السيرة: فعند ابن إسحاق بقيت ريحانة في ملك رسول الله ﷺ حتى تُوفّي. وعند ابن سعد وغيره أنه أعتقها وتزوّجها. ولا حديث صحيحًا يحسم ذلك، فيبقى من مسائل الخلاف (ويكيبيديا، «ريحانة بنت زيد»).

١٠. هل تعارض هذه الأحداث قوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾؟

لا. فآية ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ (البقرة ٢: ٢٥٦) في الدخول في الدين. ولم يُعاقَب بنو قريظة لامتناعهم عن الإسلام، فقد عاشوا سنواتٍ على دينهم، وإنما كانت العقوبة على الغدر في الحرب. بل نجا من أسلم ومن أبى المشاركة في الغدر، كعمرو بن سُعدى (الفصل ١٢).

١١. هل يجوز أن تُتّخذ هذه الأحداث ذريعةً لمعاداة غير المسلمين اليوم؟

لا. فهذه الأحداث حكمٌ خاصّ من وليّ أمرٍ شرعيّ، عبر حَكَمٍ متّفق عليه، في طائفةٍ حاربت المسلمين في وقت الحرب (الفصل ٢٢). والأصل العامّ في الإسلام تجاه غير المسلمين الذين لا يقاتلون هو البرّ والقسط (الممتحنة ٦٠: ٨)، ومن قتل معاهَدًا لم يرح رائحة الجنة (صحيح البخاري ٣١٦٦).

١٢. ما أعظم عبرةٍ في هذه القصة؟

الوفاء بالعهد والعدل. فقد وفّى المسلمون بالعهد حتى نقضه الطرف الآخر، وتثبّتوا من الخبر قبل العمل، وقبلوا التحكيم، وفرّقوا بين المقاتل وبين النساء والصبيان. ويعلّمنا الإسلام في الوقت نفسه الصدق مع التاريخ: التمييز بين الثابت والمختلف فيه.

العبرة

كثيرًا ما تُطرح الأسئلة عن بني قريظة، أحيانًا بنيّةٍ حسنة وأحيانًا للاتّهام. وخير جوابٍ هو الرجوع إلى القرآن والحديث الصحيح وروايات السيرة مع تمييز درجاتها، ثم بيانها بهدوءٍ وعدلٍ وصدق.

الدروس والخاتمة

تطوي أحداث بني قريظة صفحة غزوة الخندق. إنها قصةُ **العهد والغدر**، وقصةُ **العدل والتحكيم**، وقصةُ صحابيٍّ قصيرِ العمر اهتزّ لموته عرش الرحمن.

العبرة	من أحداث بني قريظة
الوفاء بالوعد	وفّى المسلمون بالعهد حتى نقضه الطرف الآخر
التثبّت من الخبر	بُعث الرسل للتثبّت من الخبر
نختلف ولا نفترق	صلاة العصر في بني قريظة
التوبة العاجلة	أبو لبابة وسارية التوبة
باب الإسلام مفتوح	من أسلم أَمِن
الحَكَم العادل	لم يخضع سعدٌ لضغط قومه
التفريق بين المقاتل وغيره	لم يُقتل الصبيان ولا النساء
الصدق مع التاريخ	التمييز بين الرواية الصحيحة ورواية السيرة
بركة العمر	اهتزّ العرش لسعد

بنو قريظة في حياتنا

قد لا نواجه حصار الحصون، لكننا نُمتحن دائمًا بـ**العهود**: عهدنا مع الله، ومع الأهل، ومع صاحب العمل، ومع الجار والمجتمع. وتعلّمنا هذه القصة أن **نفي بالعهد في الشدّة**، وأن نعدل ولو مع من لا نحبّ، وأن نبادر إلى التوبة إذا أخطأنا — كأبي لبابة.

إن شاء الله نتواصل سلسلة **السيرة النبوية** بـ**الحلقة ١٤** — الأحداث التي تلت غزوة بني قريظة. والله أعلم.

© ٢٠٢٦ م / ١٤٤٨ هـ جميع الحقوق محفوظة — Hj Che Alim Hj Che Haron — مجاني للمسلمين

المراجع

القرآن الكريم والتفسير

القرآن الكريم، بالرسم العثماني. https://quran.com/ms

ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (البقرة ٢: ١٤٦؛ المائدة ٥: ١، ٨؛ الأنفال ٨: ٢٧، ٥٦–٥٨؛ الأحزاب ٣٣: ٢٦–٢٧). https://tafsir.app/ibn-katheer/33/26

الحديث الشريف

صحيح البخاري ٢٨٤٦، ٣٠١٥، ٣١٦٦، ٣٨٠٢، ٣٨٠٣، ٤٠٢٨، ٤١١٨، ٤١١٩، ٤١٢٠، ٤١٢١، ٤١٢٢، ٤١٢٣، ٤١٢٤، ٥٦٨٣. https://sunnah.com/bukhari

صحيح مسلم ١٧٦٦، ١٧٦٨، ١٧٦٩، ١٧٧٠، ١٧٧١، ٢٢٠٨، ٢٤٦٦، ٢٤٦٨، ٢٤٩٠.
https://sunnah.com/muslim

جامع الترمذي ١٥٨٢، ١٥٨٤، ٣٧٤٣، ٣٨٤٩؛ سنن أبي داود ٢٦٧١؛ سنن النسائي ٢٠٥٥.
https://sunnah.com

كتب السيرة والتاريخ

ابن هشام، السيرة النبوية (رواية ابن إسحاق) — باب غزوة بني قريظة.

ابن سعد، الطبقات الكبرى؛ أبو عُبيد، الأموال.

صفيّ الرحمن المباركفوري، الرحيق المختوم — باب غزوة بني قريظة.

ابن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري — كتاب المغازي؛ النووي، شرح صحيح مسلم.

W. N. Arafat، «ضوء جديد على قصة بني قريظة ويهود المدينة»، مجلة الجمعية الآسيوية الملكية (١٩٧٦).

ويكيبيديا، «بنو قريظة». https://en.wikipedia.org/wiki/Banu_Qurayza

ويكيبيديا، «غزوة بني قريظة». https://en.wikipedia.org/wiki/Invasion_of_Banu_Qurayza

ويكيبيديا، «Constitution of Medina». https://en.wikipedia.org/wiki/Constitution_of_Medina

© ٢٠٢٦ م / ١٤٤٨ هـ جميع الحقوق محفوظة — Hj Che Alim Hj Che Haron — مجاني للمسلمين

ويكيبيديا، «سعد بن معاذ». https://en.wikipedia.org/wiki/Sa%27d_ibn_Mu%27adh

ويكيبيديا، «رُفَيدة الأسلمية». https://en.wikipedia.org/wiki/Rufaida_Al-Aslamia

ويكيبيديا، «الكيّ». https://en.wikipedia.org/wiki/Cauterization

ويكيبيديا، «الوريد المرفقي الناصف». https://en.wikipedia.org/wiki/Median_cubital_vein

أحاديث ومصادر إضافية

صحيح البخاري ٣٤ (آية المنافق أربع). https://sunnah.com/bukhari:34

صحيح البخاري ٣١٨٦، ٣١٨٧ (لواءٌ لكلّ غادر). https://sunnah.com/bukhari:3186

صحيح البخاري ٤٠٢٨؛ صحيح مسلم ١٧٦٦ (بنو النضير وقريظة). https://sunnah.com/bukhari:4028

صحيح البخاري ٢٩١٦ (الدرع المرهونة عند يهوديّ). https://sunnah.com/bukhari:2916

صحيح البخاري ٣٠١٥ (النهي عن قتل النساء والصبيان). https://sunnah.com/bukhari:3015

صحيح البخاري ٣١٦٦ (قتل المعاهَد). https://sunnah.com/bukhari:3166

تفسير ابن كثير وتنوير المقباس، الأنفال ٨: ٥٦. https://surahquran.com/tafsir-english-aya-56-sora-8.html

sunnah.com، ترجمة الراوي محمد بن كعب القرظي. https://sunnah.com/narrator/7252

ويكيبيديا، «ريحانة بنت زيد». https://en.wikipedia.org/wiki/Rayhana_bint_Zayd

الدعم والتبرّع

يُنشر هذا الكتاب **مجّانًا بالكامل** للأمّة الإسلامية، **ولا يجوز بيعه أبدًا.** والتبرّعات مرحّبٌ بها للمساعدة في تكاليف البحث، واستضافة الموقع quranscience.my، ونشر مزيدٍ من الكتب — لكنّها **ليست واجبة.** نسأل الله أن يتقبّل كلّ تبرّعٍ صدقةً جارية.

سورة البقرة (٢): ٢٦١

مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ٢٦١

المصدر: quran.com/2:261

سورة سبأ (٣٤): ٣٩

قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُ لَهُۥۚ وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ٣٩

المصدر: quran.com/34:39

حديث — صحيح مسلم، رقم ٢٥٨٨

حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ أَيُّوبَ، وَقُتَيْبَةُ، وَابْنُ، حُجْرٍ قَالُوا حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، - وَهُوَ ابْنُ جَعْفَرٍ - عَنِ الْعَلاَءِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ « مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلاَّ عِزًّا وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلاَّ رَفَعَهُ اللَّهُ ».

السند: رواه الإمام مسلم: عن يحيى بن أيّوب، وقتيبة بن سعيد وعلي بن حُجر، عن إسماعيل بن جعفر، عن العلاء بن عبد الرحمن، عن أبيه عبد الرحمن بن يعقوب، عن أبي هريرة رضى الله عنه .

التخريج: رواه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب البرّ والصلة والآداب، باب استحباب العفو والتواضع، حديث رقم ٢٥٨٨.

الدرجة: صحيح – أخرجه مسلم في صحيحه.

المصدر: https://sunnah.com/muslim:2588

حديث – صحيح مسلم، رقم ١٦٣١

حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ أَيُّوبَ، وَقُتَيْبَةُ، - يَعْنِي ابْنَ سَعِيدٍ - وَابْنُ حُجْرٍ قَالُوا حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، - هُوَ ابْنُ جَعْفَرٍ - عَنِ الْعَلاَءِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ « إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلاَّ مِنْ ثَلاَثَةٍ إِلاَّ مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ ».

السند: رواه الإمام مسلم: عن يحيى بن أيّوب، وقتيبة بن سعيد وعلي بن حُجر، عن إسماعيل بن جعفر، عن العلاء بن عبد الرحمن، عن أبيه عبد الرحمن بن يعقوب، عن أبي هريرة رضى الله عنه .

التخريج: رواه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الوصيّة، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، حديث رقم ١٦٣١.

الدرجة: صحيح – أخرجه مسلم في صحيحه.

المصدر: https://sunnah.com/muslim:1631

جزاكم الله خيرًا كثيرًا



امسح رمز QR أعلاه (DuitNow، ماليزيا) للتبرّع.

تبرع

للمتبرّعين من خارج ماليزيا: انقر زرّ «تبرّع» أو زُر paypal.me/quranscience